



التدبير الإلهي

تأليف

الدكتور محمد السعيد وهول

جميع الحقوق محفوظة

القاهرة

١٣٩٦ هـ - ١٤١٧ م

المكتبة السعودية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

التدبير الإلهي

تأليف

الدكتور محمد السعدوني

جميع الحقوق محفوظة

القاهرة

١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦ م

المكتبة السعدية

رَفَعُ
عبد الرحمن البغدادي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

باسم الله ، والحمد لله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى صحبه وآله ومن والاه .

و بعد ؛

فهذا بحث عن النديم - عبد الله النديم - الأديب ، اقتطعته وأفته من رسالتي التي أجازني عنها معهد الدراسات العربية العالمية درجة « الماجستير » - من قسم الدراسات الأدبية والنخرية - بتقدير « ممتاز » في الأول من شهر ديسمبر سنة ثمان وخمسين وتسعمائة وألف .

وعنوان الرسالة : « عبد الله النديم - حياته وآثاره » . وازجل بحياته أو بآثاره يفرض على الدارسين قدره ، فقد استطاع بعصاميته - وهو ابن النجار الخباز أن يزحف في مركب الحياة حتى ألقى بثقل زعامته على الملايين ، وعلم تلك الملايين معاني الكرامة والسيادة والحرية والوطنية .

واستطاع باشاطه اندى استهدف الإخلاص ونزاهة المقصد أن يضرب لنا مثلا لما يجب أن يكون عليه العاملون في حقول الوطنية والقومية والمعارف والآداب ، واستطاع بتضحياته أن يبقى شعلة الحماسة الوطنية ذاكية هادية ، فقد ضحى براحته ووقته في سبيل وطنه ، وأتى عليه حين من الدهر لو أنه أخذ فيه إلى الراحة واستعان على معاشه بوظيفة أو راتب لسارع الإنجليز وغيرهم بمن كانوا يملكون مقدرات السياسة والحكم إلى عونه . وكانت له

كفاية أدبية يقدمها بين يدي رغبته ، ولكنه أثر الجهاد وبقي في الميدان حتى لقي الله غريبا في تركية .

واستطاع هذا الرجل أن يسهم بنتاجه الأدبي المتعدد في تطوير الأدب العربي ؛ بما ترك من : أرجال ، وأدب تمثيلي ، وحكايات ، وأقاصيص ، ومقامات ، ورسائل ، وخطب ، ومقالات ، ومحاورات ، وأشعار .

وأعترف أن حياة النديم جذبت إليها كثير من الأتلام - ومنها قلم المؤلف - فخاضت فيها بالتاريخ وبالشرح وبالتحليل ، حتى صارت معروفة للكافة من المثقفين وغيرهم ، وصار « النديم » بها واحداً من الشخصيات (الأسطورية) - أقولها دون مبالغة في التصوير - فيما أخذ به نفسه من : المغامرة ، والمخاطرة ، والمخاصمة ، والتحدى ، والثورة ، والسياسة .

أما النديم الأديب - موضوع هذا الكتاب - فقليل من استوعبه واستوفاه بحثا ودرسا ؛ لهذا يسرني أن أنشره مقتطعا ومؤلفا - كما أوضحت قبل - من رسالة الماجستير .

ومن الحديث بنعمة الله على عبده أثبت نص كلام الأستاذ الدكتور عبد المظيف حمزة ، لدى مناقشة الرسالة ؛ قال :

« ياسيد فرهود .

« أنا - في الواقع - أتيت لا لأنقذك ، ولكن لأثني عليك ، وأقدرك ،

« وأشد ما أعجبنى فيك أنك طالب حيل بينك وبين معرفة اللغات ،

« الأجنبية ، ومع هذا برعت في هذا البحث براعة أنستني تماما ،

« أنك بعيد عن اللغات الأجنبية ، وعن مناهجها في البحث ، وأقدمتني ،

« أن الدراسة الشرقية البحتة كفيلا بأن تخلق باحثا من الطراز ،

« الأول : فما بالك إذا زودت نفسك في المستقبل بها ؛ إذن ،

« لمنحت من نفسك لمصر باحثا تحتاج إليه . والحقيقة أن ،

« حسنات البحث كثيرة جدا ، وأنت تعلم أنك أتحت لي فرصة ،
« الإشراف على البحث - مدة تغيب الأستاذ الدكتور إسحاق ،
« موسى الحسيني في الخارج - وقد أعجبنى منك في أثناء هذا ،
« الإشراف أنك كنت : مطواعا ، صبوراجدا ، لاتضجر ، ولا ،
« تتألم ، ولا يأخذك الجهد . والحقيقة أنني لمست فيك صفات ،
« علمية عظيمة ؛ ومن أجل هذه الصفات : الصبر ، والمثابرة ، ،
« وانزاهة التامة في الحكم ؛ فأنت باحث موضوعي ، لاتتأثر بأراء ،
« من سبقوك ، وإنما كنت تكون لك دائما رأيا تستقل به . »

وقد يكون من الخير أن أكتب فصلا تمهيدا قصيرا ، ألم فيه بالخطوط
العريضة لانسج هذه الشخصية ؛ شخصية النديم ؛ للتذكرة ، أو للتعريف
والتبصرة ، أو للتوطئة لتلقى نتاجه الأدبي ، أو لكل أولئك .

وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلت ، وإليه أنيب .

القاهرة }
٦ من صفر ١٣٩٦ هـ
٦ من فبراير ١٩٧٦ م

محمد السعدى فرهود

هذا الرجل (*)

في النصف الأول من القرن التاسع عشر نزع الشيخ مصباح بن إبراهيم الإدريسي من بلدة « الطيبة » - من أعمال محافظة الشرقية - إلى الإسكندرية؛ التماساً للرزق في دار الصناعة البحرية (الترسانة) ، ولم يلبث أن تحول عنها إلى صناعة الخبز في (كفر عسرى) - من أحياء اشعر الشعبية . ونجل « عبد الله » له في العاشر من ذى الحجة سنة ١٢٦١ هـ (العاشر من ديسمبر سنة ١٨٤٥ م) ، فأخذه أبوه بما كان يؤخذه الأذفال في زمانه ، وجهه إلى (الكتاب) ليحفظ القرآن ثم ألحقه بجامع الشيخ إبراهيم باشا ليدرس علوم الدين .

وما لبث عبد الله أن انحرف عما أريد له فتعشق الأدب و (الأدبانية) وتعشق دراسة البرق (التلغراف) في آن ، واستخدم في هذه المهنة - مهنة البرق - في أكثر من بلد ، حتى نقل إلى (القصر العالى الخديوى) ، تقديراً لكفائته ، ولكن سلطة « خليل أغا » في القصر فرضت عليه قيوداً قامها ولم يستطع الثبات لها ، فطرده الأغا من القصر شر طردة ، فعادر القصر وغادر القاهرة دون هدف مرسوم .

وكانت المجتمعات الأدبية في القاهرة قد أطلقت على عبد الله لقب « النديم » - وهو لقب يوحى بالشهرة في رواية الأدب والقدرة على إشاعة جو الفكاهة والمرح ، وإزاحة السأم والملل من الحضور - فلما غادر النديم القاهرة وكل زاده هذا اللقب استقبله الموسرون في بعض البلاد استقبالا حسناً ، وفتحوا له بيوتهم ومدوا موائدهم وبسطوا مجالسهم ، وحاول النديم أن يتخذ من سياحته وسيلة للكسب فلا يريق ماء وجهه ، فاشتغل بالتجارة وبالفلاحة والتعليم ، وبارت هذه الحرف جميعاً ولم يبق إلا حديثه الشهى ، وفكاهته الحلوة ،

واسانه الذرب ، والاثر الطيب الذى يتركه فى نفس محدثه .

طوف النديم ماشاء له التطواف ، ثم آب إلى الإسكندرية فى أوائل عام ١٨٧٩ م صفر الين ، إلا من خبرة بعادات البلاد وأحوالها ، وصادقات ببعض الكبراء والأعيان ، وربما كان يحلم أنه سيستأنف عملا ذا بال فى الثغر ، بيد أنه وجد الإسكندرية تتحدث فيما حل بالبلاد من كوارث ، وما كبلت به من ديون ، وما ابتليت به من تدخل الدول الأوربية ، وسرعان ما انخرط فى جماعة (مصر الفتاة) السرية ، التى كان من أعضائها « أديب إسحاق » و « سليم نقاش » .

ولم يعجب النديم ما تسلكه الجماعة من التخفى ، فدفع بها إلى العلانية ، وحوّلها من الاتجاه للإصلاح السياسى إلى العمل فى الحقل الاجتماعى ، ومن هنا أعلن عن انشاء (الجمعية الخيرية الإسلامية) لتربية الناشئة ، وبث المعارف ، وترقية الأفكار ، وتطهير الأخلاق .

وأتيج له أن يكتب فى صحيفتى (مصر) و (التجارة) لأديب إسحاق وسليم نقاش ، ثم فى صحيفتى (المحروسة) ، و (العصر الجديد) لسليم نقاش ، فلما أنشأ النديم صحيفته (التنكيت والتبكيك) حول إياها جهوده كلها .

والمتصفح لأعداد هذه الصحيفة لا يشك فى أن النديم اتخذها معرضاً لأدبه فى الاجتماع والسياسة ، فأطلق قلبه العنان فى علاج الحياة الرخوة التى كان الشعب المصرى يحيها فى ذاك الوقت : وفى تصوير الموبقات الاجتماعية التى انتشرت فى الحواضر والريف ، وفى الألم لبوار الصناعات المحلية ، والاستسلام للأجانب يعلمون أبناء هذا الشعب ، والانخداع للمدنية الزائفة ، والانحراف باللسان العربى إلى الرحانة الوافدة علينا من الغرب ، كما حبذ قيام القانون ، وتحديد سلطات ذوى الأمر ، ودعا إلى إدراك الحقوق والواجبات ، واستنفر الناس إلى العمل وحفظ الأرواح والأموال . . . وغير أولئك مما ساعد على تنبه الأذهان .

فلما قامت الثورة العراقية كانت الأذهان مشجونة لا فارغة .

ووجد العراقيون في النديم خطيباً وكاتباً ، فألخوا عليه حتى شايعهم ، فكان معهم كما أرادوا ، ومن أجلهم غير اسم صحيفته إلى (الطائف) ، فصارت لسان الثورة ، وأداتها ، لنقل معاني الدستور والحرية والكرامة الوطنية . ولم يتردد النديم - عندما نشب القتال بين العراقيين والإنجليز - أن ينتقل إلى ميدان القتال ، ويقف إلى جوار زعيم الثورة « أحمد عرابي » ، حتى يستسلم الزعيم .

ولم يجد النديم بدأ من الحرب ، وكانت الحكومة المصرية قد حذرت الناس من مساعدة العراقيين ، وأنذرتهم بسوء العاقبة ، وبثت عيونها للإسكاف بالنديم ، ورصدت من أجل هذا (ألف جنيه) .

وعلى الرغم من كل أولئك استخفى النديم تسع سنوات ، وآواه أبناء هذا البلد الطيب وأكرموا لقاءه ، لأن فيهم مروءة وهمة ، ولأن في لسانه حلاوة مقال عطفهم عليه ، فلم يبالوا ما يصيبهم من أجله . وشغل النديم - في فترة هربه - بوعظ الناس ، والفتيا والمسامرة ، كما شغل بالمطالعة ، وبالتأليف . ونسج الناس حوله قصصاً وحكايات ، ووجدت هذه القصص والحكايات من يصدقها .

وبعد هذه السنوات التسع وقع في أيدي الشرط ، واستجوبه « قاسم أمين » ، رئيس النيابة في طنطا ، وأنفذت فيه الحكومة أمراً كان قد صدر بإبعاده عن القطر المصري ، فاتجه - منفيًا - إلى « يافا » ، ولقى من أهلها ترحيباً ، وأقام فيهم معزراً مكرماً ، حتى ناله عفو الخديوي عباس حلمي الثاني ، فعاد النديم إلى مصر ، واستقر في القاهرة ، وأنشأ صحيفة (الأستاذ) أول شهر صفر سنة ١٣١٠ هـ ، واستأنف بها نشاطه الصحفي والأدبي . ولكن المتربصين به عدوا مقالاته بداية فتنة ، فسلطوا عليه الأضواء ،

ودفعوا الخديوى - وكان قد استسلم لهم - إلى أن يعاقب النديم ، واتهموه بالحيانة ، وبأنه يتعصب على الأجانب ، وتولى كبر هذا أصحاب (المقطم) ، واضطر الرجل أن يواجه العاصفة ، ووقت إلى جانبه كثير من الصحفيين كأصحاب (الوطن) و (المؤيد) و (الأهرام) من ذوى النزاهة ، ولم يجده هذا ، واضطر إلى أن يختار « يافا » منى مرة ثانية ، وهناك فى « يافا » دسوا عليه أنه يلزم السلطان العثمانى ، ويطعن فى سياسة (الدولة العلية) ، فأبعده عن الشام ، فأب إلى الإسكندرية حائراً .

وأخيراً سمحوا له بالإقامة فى (الأستانة) ، ليكون تحت سمع السلطان وأعوانه وبصرهم .

وشاء حظ النديم أن يلتقى فى الأستانة بالزعيم المناضل « جمال الدين الأفغانى » ، وسرعان ما اتصلت بينهما أسباب الألفة ، وجعل النديم يروج لأفكار الأفغانى وينقل عنه وجهات نظره - وكانت العلاقة بين الأفغانى و « الشيخ أبى الهدى الصيادى » قد ساءت ، واتهم كل منهما الآخر بالضللال فاتصر النديم لرفيق غربته ، وساق الصيادى بلسان حاد ، وأنف فيه كتابه (المسامير) وهو كتاب كاه هجاء وفضس ، لا يشرف الهاجى والمهجو .

وأخيراً دب الداء إلى رتى النديم ، ولم يجده الطب شيئاً ، فأسلم روحه ليلة الرابع من جمادى الأولى سنة ١٣١٤ هـ (الحادى عشر من شهر أكتوبر سنة ١٨٩٦) ، ودفن فى مقبرة (يحيى أفندى) فى الأستانة .

مات النديم فى نحو الثانية والخسين ، عن عمر عريض ، غذى الناس فيه بقلمه ، وهيجهم بأفكاره ، وأضحكهم ، وأبكاهم ، وحير رجال الأمن ، وأقلق بال الساسة ، ونازل خصومه فى عنف ، فنال منهم أكثر مما نالوا منه ، ولم يهدأ له لسان ولا قلم ، حينما حل وكيفها كان ، حتى هدأه الموت الذى يهدىء كل نائر .

ثقافة النديم

إذا التزمنا بالمعيار المنهجي الذي يزن الثقافة والمعرفة بالمناهج المدرسية لم يكن النديم شيئاً مذكوراً ؛ إذ لم تجاوز حصياته العلمية في جامع الشيخ إبراهيم باشا مبادئ الفقه والنحو ، وهو قد حفظ القرآن في سن التاسعة ، وترك الاسكندرية - من أجل وظيفته - في نحو الخامسة عشرة ، وقد عرفنا أن النديم كان نافراً من دروسه ، منطلقاً إلى صحبة (الأدبائية) في أنحاء الثغر. فلما أقام في القاهرة أحس بحاجة إلى العلم. فتردد على حلقاته في الجامع الأزهر ساعات فراغه من عمله ، وفي الجامع الأزهر التقى برفيقه « الشيخ حمزة فتح الله » . ومع ذلك لا نستطيع أن نعتبر ما حصله النديم من علوم الجامع إلا قطعاً محدوداً جداً ، بيد أنه - باعتزافه - عكس على القراءة والاطلاع ، وأفاد من مخالطة الأدباء في عصره ، ووعى ما سمع منهم ، وما اشتغلوا فيه من الفكر الوطني الخاص ومن الفكر الغربي الوافد ، وما كانوا يديرونه في مجالسهم في شؤون الدين والأدب والتاريخ (١).

الحياة - إذن - هي مدرسة النديم . ولقد يجوز أن تمر الحياة بكثير من الناس فلا يحسوها ، وإن أحسوها لم ينفعوا لها ، وإن انفعوا لها لم يعبروا عنها ، وإن عبروا عنها لم يجيدوا العبارة . ولكن النديم أجاد العبارة عن حياته ، فسجل في صحفه وكتبه كل ما مر به وعاق بخاطره ، واهم بدا في أعين الآخرين تافها غير ذي بال . ومن ذلك كتابه (آثار الإنسانية في تاريخ الجمعية الإسلامية) وفيه سجل لجهودها ونشاط أعضائها ، وكتابه (الاحتفاء في الاختفاء) وفيه تدوين لسنوات الاحتفاء اتسع ومالقيه من الناس ومالقوه منهم في أثنائها ، وكتابه (النحلة في الرحلة) وفيه أحاديث يومية

(١) انظر كتابه (كان ويكون) ص ١٠ وما بعدها .

عن فترة إقامته في فلسطين في منفاه الأول ، وكتابه (المذكرات السياسية) وفيه تسجيل دقيق لأحداث الثورة العراقية ، وهو لم يسردها سرداً ، وإنما رواها من وجهة من يصور مشاعر الثوار ويكشف عن قواهم النفسية التي حكمت تصرفاتهم وسلوكهم .

ونستطيع أن نرد المحصول الثقافي لصاحبنا النديم إلى ثلاثة ألوان من الثقافة ، هي الثقافة اللغوية البديعية ، والثقافة الدينية ، والثقافة الاجتماعية .

فمن الثقافة اللغوية البديعية : ظهرت هذه الثقافة مبكرة ، وازدادت بها رسائله الأولى كرسائله (لواء النصر في أدباء العصر) وكالرسائل الخاصة ؛ امتلأت بالمهارات اللفظية ، وشحنت بالسجعات ، وبالألعاب اللغوية ، وباقتباس الشعر القديم ، وتضمن الأمثال . وما زال النديم ينفق من هذه الثروة حتى ألف كتاباً في (المطارحة الشعرية) ، ثم صرف نفسه إلى أساليب الترسيل ، ولكنه في أخريات أيامه وعندما عطلت مواهبه في الآستانة صنع المقامة ، وأخرجها في ثوب جديد لم يعرفه الأدب العربي قبله ، حين أدارها حول فكرة واحدة موضوعية .

وهذه الثقافة اللغوية جعلته يغار دائماً على اللغة العربية ، وينتصر لها ، ويقترح إنشاء مجمع لها يحميها من منافسة الألفاظ الدخيلة (١) . وبلغ به الأمر أن يخترع في اللغة كما جاء في بيته :

كم جاء قبلاً ملايين مملينة وليس في الصف غير الحر والبطل (٢)

يشق « مملينة » من المايون على غرار (آلاف مؤلفة) .

إلا أننا - مع ذلك - نجد الرجل وقع في أخطاء لغوية - مثله في هذا

(١) التنكيت والتبكيك ١٨٨١/٦/١٩ مقال (إضاعة اللغة تسليم للذات)

(٢) سلافة النديم ١٣٠/٢

مثل كتاب عصره وأمثاله ممن عاشوا على هامش اللغة الأصيلة .

وعن ثقافة الدينية : عرفنا أن النديم اتصل بهذه الثقافة الدينية منذ التحاقه بجامع الشيخ إبراهيم باشا ، وعندما أنيطت به الزعامة الكلامية للثورة العراقية كان عليه أن يستغل الناحية الدينية في عرض آرائه على جمهور المصريين ، إضافة إلى ما كان يشنه من حملات على الانحلال الخلقى وعلى الآفات الاجتماعية التي صاحبت وفود المدنية الغربية على مصر . وعندما كان مستخفياً اضطر أن يصطنع من نفسه عالماً من علماء الدين أو متصوفاً ناسكاً .

وخير ما يشهد لثقافته الدينية أن بعض الأجنب من كانوا يتظاهرون بالعطف على الثورة العراقية كان يخشى أن يشعلها نديم حرباً دينية (١) .

وفي كتابه « كان ويكون » عرض للأديان السماوية وغير السماوية ولللمل والتمحل ، يدل على اطلاع الواسع عليها ، وفي كثير من مقالاته ينتصر للإسلام ويدفع عنه افتراءات المتعصبين عليه (٢) ، ويهاجم البدع الصوفية ويطالب بتطهير الطريق منها ، ويدعم رأيه بأقوال الأشياخ المتصوفين من أمثال الرفاعي والجنيد والشبلي والخواص (٣) . وقد يفسر بعض الآي القرآنية ويتكلم عن الروح والعقل ويشرح حقيقة « اللهم ، في قصة يوسف عليه السلام -

(١) كتاب التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا لمصر تأليف المستر ألفريد سكاون بلنت - الترجمة العربية - ص ٢٤٢ وما بعدها - مطبعة البلاغ الأسبوعى - ١٩٢٨ .

(٢) الأستاذ - عدد ٢٩ / ١١ / ١٨٩٢ - مقال (بم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد) .

(٣) الأستاذ - عدد ١١ / ٢٥ / ٤ / ١٨٩٣ - الطرق وما فيها من البدع ، والطرق وإصلاحها .

وأمرأة العزيز ، مثلما يقول أهل التفسير (١) ، وغير ذلك .

وعن الثقافة الاجتماعية : - وقد نسميها الثقافة العامة - اتسع أفق النديم الاجتماعي ، فأخذ من كل فن بطرف ، يدلنا على ذلك خبر صغير أورده في كتابه (كان ويكون) - ص ٢٠٧ - أنه أول ما استخفي استعمار : قاموس الفيروزابادي ، وتفسير العلامة أبو السعود ، وجغرافية ملطبرون التي ترجمها رفاعه الطهطاوي ، والوافي في المسألة الشرقية لأمين شميل .

كما أنه في أثناء الثورة العراقية استهدى المستر بلنت كتابه « مستقبل الاسلام (٢) » . وتدل كتابات النديم على أنه كان على خبرة بنظم الحياة السياسية والاجتماعية في الشرق والغرب (٣) ، وعلى معرفة بما للواطن في أمحاء المعمورة من شهرة واختصاص (٤) ، وعلى علم بموضوعات أكثر من خمسين كتابا في الأدب والفقه والمنطق والطب (٥) ، وعلى قدر غير قليل من العلم بالمستكشفات الحديثة وخواص المواد ، مما ضمنه أدبه نثرا وشعرا ، فأقنعنا بطاقته العجيبة لامتناس الجديده .

ونذكر فيما يلي آثاره الأدبية التي وقعنا عليها :

أولا - مجموعة من الخطب والمقالات والمحاورات والحكايات

(١) الأستاذ - عددي ١٥/١١/١٨٩٢ و ٣١/١/١٨٩٣ - وكان ويكون ص ١٧٠ وما بعدها .

(٢) انظر ص ٤٣٩ من كتاب التاريخ السري لاحتلال انجلترا لمصر .

(٣) المذكرات السياسية ص ١١٥ وما بعدها .

(٤) سلافة النديم ٧٣/١ وما بعدها .

(٥) الأمتناذ - عدد ٢٣/٧/١٨٩٢ - ومجلة المجلات العربية - عدد ابريل

ومايو ١٩٠٧ -

والأجوبة والعلبيقات ، مفرقات في صحفه الثلاثة : التنكيت والتبكيك ،
والطائف ، والأستاذ ،

ثانيا - سلافة النديم - وهى جزءان - ويجب أن نستبعد منها مقالة (متى
يستقيم الظل والعوج أعوج) فهذه المقالة لكاتب اسمه (أمين عريف) (١)

ثالثا - مسرحية (الوطن) .

رابعا - أشعار : جمعنا منها حوالى ألف بيت .

خامسا - أزجال : جمعنا منها طائفة صالحة .

سادسا - كتاب المسامير - ويضم عدة مقامات أنشأها في هجاء الشيخ
أبى الهدى الصيادى .

سابعا - كتاب (ألف بالمطارحة الألبا) - والموجود منه ٥٨ بيتا .

ثامنا - كتاب (كان ويكون) - وفيه عرض شامل للأديان والملل
والنحل وتاريخ الشرق والغرب - والموجود الجزء الأول منه .

تاسعا - مجلة (آداب رمضان) ألحقت بمجلة الأستاذ مدة .

عاشرا - بحث صغير عن الانسجام فى الكلام وتفسير آية الكرسي
على أساسه (سلافة النديم ٩٦/٢ وما بعدها) .

حادى عشر - المذكرات السياسية - وكانت مخطوطة فى دار الكتب
(برقم ٧١٦ - تاريخ - المكتبة التيمورية) . ونشرها الأستاذ الدكتور محمد
أحمد خلف الله فى كتابه (عبد الله النديم ومذكراته السياسية) سنة ١٩٥٦

(١) راجع العدد التاسع والعشرين من صحيفة (الأستاذ) . على أن

للنديم مقالة بال عنوان نفسه بالتنكيت والتبكيك - عدد ١٧/٧/١٨٨١ -

النديم... زاجلا

اختلط النديم بأوساط الشعب ، فأتيح له أن يلم بحياة الشعب ونظمه وعاداته وتقاليده ، وأن يطلع على الأدب الشعبي ، وهو أدب لفظي همه الضحك والهرج والفكاهة العابرة. ومارس النديم هذا الأدب على هذا الوجه ؛ فأبدع وأطرب وأعجب ، ووصلت شهرته في هذا اللون غايتها ، عندما دعاه « شاهين باشا كنج » إلى مغالبة (الأدبائية) الذين حضر واملد السيد البيدوى في طنطا سنة ١٨٧٧ م فمقد الباشا مجلسا أمام قصره ، دعا لحضوره أعيان الإقليم ، ووقف ثمانية من (الأدبائية) للنديم ، يقولون ويقول ، فيفرغ مقولهم ولا يفرغ مقوله ، وينقلونه من لون إلى لون - بغية تعجيزه - فلا يعجز ، وأخيراً بعد ثلاث ساعات سلموا له (١) .

واشتمل هذا المجلس على مقدمة وخمس مباريات ، واحدة من فن (كان وكان) وأربع من الزجل ، إحداها في المدح ، والثانية في الفخر ، والثالثان الباقيتان في الغزل .

في المقدمة تحدى شيخ (الأدبائية) ، النديم إذ قال :

دعنا من الأدب المشهور وادخل بنا باب الدعك
ندخل على اسيادنا السرور ونغنم الخير والبركة

وقبل النديم التحدى ، فأجابه على الفور :

هيا احتكم في البحر وشوف فن النديم ولا فنك
دلوقتي تسمع يامتجوف أحسن أدب وحية دقنك
وبدأت المباراة الأولى في المدح ، اقترح واحد منهم فأجابه النديم :

مجلس عليه حسن دها به كأنه مجلس سلطان
والخاضرين أهل نجابه وينقدوا قول الإنسان
اترك بقی شرب الغابه وانشد . . . نسمع
وان كان تغنى برابه تطرب . . . بجمع
حسن الكلام مثل سحابه تمار على شجر البستان

وهذا جواب وقتي ، يقوله النديم عفو الخاطر ، ويحي فيه من حضر
ويومئ إلى سائله أنه يود أن يسمع منه كلاما لطيفا ينعش النفوس
كالمقطرات تحي نضرة البستان . وكان الواجب أن يعارض هذا المسائل
النديم بمديح مثله ، ولكنه لم يفعل ، وإنما جعل يتوعد النديم بقوله :

القصـد منك يانديـمنا تعمل زجل هيله بيله
إلا انت دى الوقتى غريمنا قصدى احدفك بالقلقيه
وان كنت تجمل تقريمنا اسأل عنا
او عا تعيب فى تكليمنا واحذر منا
أحسن أوديك لعظيمنا يشياك ألفين شيله

ولم يرق النديم هذا الكلام ، فرده عليه فى ثوب بديع ، وأظهر له أنه
هو وعظيمه ليسا بمن يهمله ، فهم أمامه صغار فى الفن :

انما صغار لسه نونو وفى الزجل منش مجدع
اتبع نديم تلقى فنونو تأتيك من المعنى الأبدع
أما عظيمك وجنونو ياكل نفسه
وان كان يعارض بمجونو يطلب عكسه
لأن فى وشجونو لكل متعنظ يردع

على البديهية نطق النديم بهذا الجواب ، وأشم صاحبه بأمثال لم يقترعها ،
ولمّا أحسن نقابها عن أوساط الشعب .

وانتقل النديم وهؤلاء المغالبيون إلى الفخر والغزل ، فما كان منه إلا أن أرسل القول إرسالا ، وأفاض ، وبهر الحضور ، وبهر خصومه الذين اقترحوا عليه الفن والوزن .

وهذا مثال مما قاله النديم في الغزل :

ياهل الصبايا ياعشاق ساوا المشتاق فالعشق ما و غير أهله
العشق تريباق الأرواح ويا الأشباح ونا اللي طاب لي نهله
ما يعرف العشق الأجلاف ياهل الأنصاف ما للعزول يكتر عزله
أرعى النجوم والنار تكوى قلبي المشوى والوجد كتغنى بحبله
والشهد في ثغر المحبوب هو المطلوب لكن أخاف قرصة نحله

إلى اثنتين وثلاثين تحميلة ، ولا نزعم أنه أراد بها شرح حاله كعاشق أضناه العشق ، وإنما نزعم أنه تفصح بها ، وأظهر فيها براعته القولية . كذلك أظهر النديم براعة وكفاءة لما نظمه من الفن البغدادي « كان وكان » ، عندما أجاب من اقترح عليه النظم في هذا الفن فقال :

اسمع كلام نديم من طيه كل السرور
واعمل نصيحة حبر يدعوك للعرفان
لا تستخف بخصم لو كان أوهى الطيور
واصفح فكل صفوح يعلو على الأعيان
واخش اللئيم دواما فاللؤم داعى الشرور
واحفظ مرودة حر في عهد ما خان
لا تصطبب بوضيع ينزلك عن سرج الظهور
واصحب أخى شريفا واطلب رضا الإخوان

وما زلنا نرى النديم في طور (الهواية) في هذا الفن وفي الزجل ، وهو هنا يعط وعظا هينا ، يستقيه من أمثال الشعب الشائعة ، وإن أخرجه في (م ٢ - النديم الأديب)

صور خاصة غير شائعة . وأدار النديم هذا الفن وذاك في أكثر من وزن
وغرض ، يقوله عفو الخاطر ، ومساجلة لمن يتحداه ، وتكون الغلبة للنديم
دأما ؛ لقوة عارضته ، ولقدرته الموفورة على الارتجال .

وهذا الزجل - وما إليه - نخلو من التفكير في شؤون المجتمع .
فلما أتيح للنديم قدر من زعامة الرأي ، وكان له دور في توجيه المجتمع
وإصلاحه ، اصطنع الزجل أسلوبا لعرض آرائه ، من ذلك قوله في المدينة
الزائفة الوافدة من أوربة . (١)

ضحكت أوربا على عقولكم لجل تطولكم بالخر والقول والنسوان
وراح صلاحكم ويقينكم بل راح دينكم لما استحليتمو البهتان
ياميت خساره وندامه والله غرامه نبيع بكاس خمره لاوطان
أدى المصايب ولا بلاش يا أوباش بتم لأوربا عبدان

ولكنه يهتدى إلى أن للمدينة وجها حسنا يحسن تقليده :

اللى يقلد أوربي في دا الشرب ما يقلده في حب الأوطان

وهذا زجل يصنعه النديم لغاية غير التزجية والتفكك . ومثله زجل
آخر نشره تحت عنوان (حمل زجل عال (٢)) ، أورد فيه أمثلة من ظاهر
الانحلال البشري في المجتمع المصري ، ومنه :

فت العدس وبصار البيت بالجنبرى والكستليت
فين الدره وفطير الزيت والجلوين أكل الغيطان

شرم برم حالى غلبان (اللازمة)

(١) مجلة اداب رمضان - الملحقه بالاسناذ - ابتداء من ١٨٩٣/٣/٢٨

(٢) التنكيث والتبكيث - عدد ١٨٨١/٨/٧ م

فين الزعابيب والبيده جا للحويل منا هبده
ما يفتكرهات دا وشيل ده تحت السكرابيج في الديوان
بعنا العمائم بالطربوش والعري بالتوب المنقوش
صبحت بلادنا للمغشوش مورد ، وصانعا ظمان
شوف دى الجهاله ياسيدنا اللى جابناها يابدنا
حتى صبحنا يوم عيدنا نسمع بلادنا تنشدنا
شرم برم حالى غلبان

وحق له أن يندب الرجال والأوطان، ما دام الوطنيون قد انصرفوا ن كل ما هو وطنى - ورمز له بالعمامة وبالعري وهو ثوب ريفى مشهور - إلى كل ما هو أجنبي - ورمز له بالطربوش والثوب المنقوش ، بل إنه يجلو الصورة ويزيدها وضوحا بجديته عن المآكل الوطنية الأصيلة التي استعاضوا عنها بمآكل دخيلة غير أصيلة ، بل إنهم يكفرون نعمة الحرية ولا يحسنون التصرف فيها عندما يتحررون من الضغط والقهر وسلاطان السوط .

ويتعرض الوطن لحملة طائشة ، يشنها الأجنبي ومن والاهم على زعماء اوطان ؛ لتحقيق أمرهم والتهوين من زعامتهم ؛ لغاية في نفوس هؤلاء الطاعنين هي أن يفرضوا أنفسهم أوصياء على الوطن ، فيهب النديم ليدافع عن القادة والزعماء : (١) .

أنظر إلى جمع الأمرا ويا الوزرا تلقى فريق على الهمة
وانظر إلى العلماء الأعلام أهل الأحكام تعرف بهم حسن اللمة
وارجع إلى أهل الأقاليم ويا الأقسام تلتى المجدين فى الخدمه

وعرف الوطنيون أساليب المستعمر ، فدبت فيهم حرارة الوطنية ،
وسعوا يخلصون بلدهم من وصاية الأوصياء ، ويبدون همة مشكورة :

أنظر إلى بلد الأخيار	، صر الأمصار	تلق الجميع عرف الصدمه
والكل قد عرف الأعدا	بين الأندا	واللى يريد مقتو بلومه
دبت حرارة الوطنيه	في الجمعيه	والكل خايف من ذمه
ويبنوا غش الأجرأ	والكل جرى	يبدى النصايح من حزمه
فنبهوا فكر الأمه	بعد النومه	وحركوا أهل الهمه

وتنبهت الأفكار ، وتحركت الهمم ، لتنظيم القوانين ، وإنشاء الشركات
التجارية ، وإقامة الجامعات الأدبية والعلمية .

فما ترى إلا أعلام	نظموا الأحكام	وجد مجموعنا بعزمه
والأغنيا عقدوا شركة	فيها البركة	عمات سهام لجل القسمه
وانظر ترى جمع الشبان	فاق الأعيان	لما بدالو سعود نجمه
فتحوا مجامع أديبه	بل عليه	تشقى الوطن من سوء سقمه

وهنا سؤال : إلى أى مدى كان النديم موفقا في اتخاذ العامية ؟

والجواب : كان توفيق النديم في استخدام الألفاظ والتراكيب العامية
موفورا ، ونحن نرى أن الألفاظ والتراكيب تكون قيمتها الحقيقية في انتماء
ما يصلح منها للعبارة عما يحسه الأديب ويتأثر به ، وهكذا كان النديم : يأخذ
الألفاظ والعبارات من السنة العامة ، وينقلها إلى الأدب الذى يقدمه
لجمهوره ، فإن بدا في استعماله إياها جمال فذلك راجع إلى مهارته في استغلال
دلائها على ما وضعت له .

خذ مثلا لنبظة « الأمارا » في قوله :

المجلس العالى محمود فيه الأمارا والأعيان

تستعملها العامة في اوجهاء أصحاب الذوق ، وكذلك استعمالها النديم ،
وجاء وضعها إلى جوار « الأعيان » فريدا ، إذ ليس كل الأعيان « أمارا » ،
بحسب وضع العامة .

ومثلا آخر لفظة « تزعب » في قوله :

شفت السجاير بتزعب من شخص عامل لي موده
تطلقها العامة على امتلاء الجو بما يكدره ، وكذا كانت لفافات التبغ حين
اطرد تدخينها .

ومثلا آخر عبارة « يا كل نفسه » في قوله :

أما عظيمك وجنونو يا كل نفسه

فالعادة عندما تريد تحقير إنسان وتدعو أن يحترق غيظا ونكدا تطلق
عليه هذه العبارة .

ومثلا آخر : يقول النديم : « والله زمانهم زى الطين » حديثا عن
المجاهرين بالعصيان ، يكفى بذلك عن سوء أفعالهم وقلة حظهم من التوفيق ،
وكذلك يقصد العامة ، وقد استخدم النديم العبارة مصحوبة بالقسم كما
يستخدمها العامة .

النديم .. مسرحياً

ألف النديم مسرحيتين ، إحداهما (الوطن) وهي بين أيدينا - وتقع في ثلاثين صفحة من القطع الكبير ، والمسرحية الأخرى (النعمان - أو العرب) لم نقف عليها .

ويبدو أن النديم اتجه بالمسرحية اتجاها عملياً ، قصد منه مراعاة التلاميذ في مدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية على التثيل ؛ ليكون منهم جيلاً جريئاً على المطالبة بالإصلاح ؛ يقول في الإعلان عن المسرحية (١) : إنها « تشخص بتلامذة المدرسة ، يرى الناظر ما وصل إليه أبنائنا من القوة التي بها يقفون في المحافل العظيمة ، يشخصون ما لا يقوم به إلا العظيم من الرجال . »

ووقائع المسرحية : تبدأ بلقاء بين اثنين من أهل الريف يتحدثان عما يتعرض له أهل الريف من المظالم ، ويتدخل (الوطن) - وهو شخص رمزي - في الحديث يندب الناس ، ويدور بينه وبينهما حوار يكشف عن المخازي التي تعيش فيها مهمل من الخلفاء والجهالة والأفئدة من التعلم ، حين يدعو (الوطن) إلى الاتفاق على الوحدة (وحدة التعليم) يدخل المسرح (أبو العلا) وهو من عمال البناء يتحدث عن فداحة الضرائب ، ويتقارض مع الشخصيتين الأولين القول في أنواعها وما يلغاها الناس عند تحصيلها منهم من الإرهاب وكيف يتفنن جامعوها في انشاء من طريقها .

ثم يدخل المسرح (الحاج حسين) ويبدأ حديثاً مع (أبي العلا) عن تدخين الحشيش وأنتباره وسهراته ، وبقاة يظهر (الوطن) نادياً أهل الكيف ، وتأخذ (الحاج حسين) رقة عليه بينما يدعو صديقه إلى إحدى

السهرات فيغادران المسرح لحظة دخول شخصين آخرين من المترفين الناعمين، ويخوضان في حديث ناعم هازل ، يقطعهم (الوطن) بعبطة ، يشرح لهما فيها أن الإصلاح في افتتاح المدارس ونشر المعارف ، ولا يقتنعان فيتركانه في هذيانه وثرثرته .

ويظهر على المسرح آخران من عمال البحر يتساءلان عن رجل ، طلع في سكة الجبارى اسمه الوطن ، وأنهما شاهداه في حال من البؤس والهوان يدعو إلى طلب العلم ونشر الصناعات ، ويختلفان في الحكم عليه ، وينصرفان كل إلى طيبته .

ثم يدخل المسرح اثنان من الموظفين (عزت ومظهر) يتشدقان برطانة فرنسية ، ويذكر أحدهما أنه رهن ساعته لقاء خمسة جنيهات ، لينفقها في إحدى سهراته ، وفاجأهما (الوطن) بيكى انتخوة ، وانصرف إليه أحدهما يحاوره ، وقد عاب عليه (الوطن) لهجته غير العربية ، واشتغاله لدى إحدى (القنصليات) حيث ينتفع به الأجانب دون أهل البلاد .

وهنا الحديث بينهما ، واعترف الموظف بأن الشرقيين إنما يصرفون همهم في المأكل والمشرب والملابس وأن الغربيين يجعلون معارفهم في خدمة سطوتهم وازدياد نفوذهم ، وعاب (الوطن) على (عزت ومظهر) ومثالهما انصرفهم عن الخطابة كوسيلة لتكوين الرأي العام ، وما زال بهما حتى اقتنعا بأن واجب الأهالي إكمال العمل الذي بدأه التديم في (المدرسة الخيرية) .

وهنا يبدأ المسرح يستقبل من جديد الأشخاص الذين رأيناهم من قبل في صور أخرى ، محورها الاقتناع بفائدة التعلم ، والسعى في نشر المعارف ، والبحث في تدبير المال للاتفاق على ذلك . وأعقب هذا حديث على لسان (أبي الزلفي) فيه تمجيد للتعليم الذي يطعم التلاميذ ويكسوهم ، وتنفيذ الحكومة سياسته ، فهي تخفف الضرائب بما دفع المهاجرين إلى العودة .

وهنا يبدأ المهاجرون في الدخول إلى المسرح؛ هذا (بدر) يحيي الوطن ويذم (صنعاء اليمن) ، ويلتقي به (عامر) يندب الديار العافية ، وتدخل (سلسي) وأخوات لها يندبن الكرام وبلاد الكرام ، ويتدخل (عامر) ذا كراً أنه سر على قوم كرام وفي وسطهم فتى - يقصد الخديوى - « يتذاكر في إصلاح الشئون بهمة وحيوية » ، ويصدق « بدر » في الوقت الذي دخل عليهم « الخطيئة » ، الشاعر ينصح بالود وحفظ الجوار وطلب العلم ، ثم « النابغة يمدح « بدر السعود الذي طلع في سماء بلادنا » وتختتم المسرحية بنشيد تنشده البنات تحية للأمير والوزراء .

ولا نبعد إذا قلنا : إن النديم استهدف من مسرحيته كشف القصور الواقع فيه الوطن وأهله ، وتوجيههم إلى مراقي الفلاح والنهضة . وقد اعترف هو بشيء من ذلك فقال عن المسرحية (١) « بينت فيها مآظير وما بطن مما هو جار في البلاد من الظلم والفساد ، وصورت فيها الحاضرين صور الغابرين ، ووجوب النظر في تقدم الأمم والبحث فيما يحرك الهمم » . ومن الواضح أن بيئة المسرحية هي « مصر » أيام المذبلة الفكرية قبيل الثورة العراقية : زمانا ومكانا وأحرالا .

والحوار في هذه المسرحية لم يكن ناضجاً ؛ لأن المسرحية لم تبين على قصة متميزة متسلسلة الوقائع ، وإنما قامت على « استعراض » بطريق التتابع ، كل طائفة تسلم للأخرى ، وقد ينتقل الحديث لدى الطائفة الواحدة من أمر إلى آخر دون أن تبين للنظارة صلة ما بينهما ، كحديث « السيد إبراهيم » و « السيد علي » عن السهر ، ثم عن العشق ، ثم عن الحریم ، ثم عن الصحة والمرض ، ثم عن لعبة « الأرجوز » ، وربما كان قصد النديم أن يعرض أمثلة من الفراغ الذهني الذي يعيشه أمثال هذين السيدين المترفين .

وفي نهاية المسرحية مواقف خطابية ومتكلفة ، إذ كان هم النديم أن يمدح الخديوي بالشعر ، فتخلص إلى هذا المدح في مسرحيته على طريقة الشعراء القدامى في قصائدهم ، فجاء بعرب البادية ، وأدخلهم مصر بعد أن « أخذتهم هزة العرب ، وحركتهم حمية الطرب » ، ليمدحوا الوطن وأهله ، ويمثلوا المسرح عويلا ونوا «ناضيع ثلث الزمن ، واستهلك أكثر من مائة بيت ، كثير منها ليس من شعر النديم .

واللغة التي أدير بها الحوار هي العامية في الجملة ، ومن الأشخاص من جاءت لغته العامية أرقى قليلا ، ماعدا عرب البادية الذين أنطقهم النديم بالفصحى الخشنة - إن صح هذا التعبير - مما لا يلائم المسرح ؛ فضلا عن الشعر الخطابي ، من مثل قوله على لسان (عامر) :

عملس أسفار إذا استقبلت له سموم كحرائر لم يتأثم

وعلى لسان (بدر) :

قد كنت أشعث في المقامة سادراً

فنظرت قصدي واستقام الأخدع

وعلى لسان « الخطيئة » :

كل امرئ ستثيم منه العرس أو منها يثيم

فهذه الشواهد - وغيرها كثير - تحوج المتقف المطالع إلى مراجعة المعجم ، فما بالك بالنظارة وهم - كما تعلم - من أنماط أشخاص المسرحية من غير المتعلمين ، ومن أتعلم منهم عرفنا مقدار علمه ، وهو مقدار ضئيل لا يتيح لهم متابعة هذه اللغة ، ولم تكن ثقافة العصر بالدرجة التي تسمح بعرض هذه الأساليب .

ويرجح لدينا أن النديم انقسم في مسرحيته إلى قسمين : في أولها كان

مؤلفاً مسرحياً ، يقصد إلى عرض مواقف تمثيلية ، تربي في الشعب حب العلم وكرهاته الجهل ، وما إلى ذلك من وجوه الإصلاح ، وهنا اصطنع اللغة العامية لغة الشعب . وفي القسم الثاني كان شاعراً يقصد التزلف والقربى من أولى الأمر ، ولم يكن النديم « الشاعر » — أو الراوية ، ليرضى إلا بالعبارة الصحيحة الفصيحة ، والموغلة في الصحة والفصاحة أحياناً .

ومع هذا جاءت اللذة العامة متسنة في الجملة مع الأدوار التي لعبها الناطقون بها ، سواء في ذلك ألفاظها وعباراتها وصورها التي يبدو أن النديم اختارها بعناية .

ولتقويم المسرحية — بالإضافة إلى ما ذكرناه — نسجل أنها كانت أول تجربة لمؤلف مصري في بداية العمل المسرحي ، وأنه أنشأها اجتهاداً دون اتباع خطة فنية مدروسة ، مما يخفف من صرامة الأخذ بالمقياس الفني في الحكم عليها .

وقد اعتمدت المسرحية على رمزية أشخاصها ؛ فالوطن شخصية اعتبارية لا وجود لها في عالم المحسوسات ، وأبو دعووم وأبو الزاني اللذان ظهر في بداية المسرحية ليسا مقصودين لذاتيهما وإنما هما يمثلان أهل الريف ، وكذلك سائر الشخصيات . وقد حمل النديم مسرحيته كثير من آرائه الاجتماعية كما أشرنا إليه ومما لم نشر إلى تفصيلاته ، وبلغت به الجرأة أن يقسو على الحكام وأحكامهم ويصور « حالتنا وما كنا فيه من الذل والإهانة ، وما تحملنا من المظالم والمغارم » وهو لم يفعل ذلك إلا بدافع من إحساس الأديب الاجتماعي صاحب الرسالة . ويمكن أن نقول : إن مسرح النديم يمثل الحياة الواقعة بجدها وهزلها وكما قال في الإعلان عنها : « وناعيك بمن يتفرج على حان بلاده فيبكي عند الذل ويضحك عند الهزؤ ، ويسر عند الإصلاح » .

ولقد كان النديم يملك أسلحة السخرية والنقد والتوجيه وابتكار الشخصيات

وهي أسلحة أحسن استعمالها في غير المسرح ، مع أنها ألصق بالمسرح من سواه .

وعلى كل : يسجل التاريخ الأدبي لتنديم أنه أحد الرواد الذين رادوا مجاهل المسرح العربي ، ويتميز منهم بأنه أول من كون جمعية تمثيلية ، وأنه أول من أدخل المسرح في المدرسة ، وأنه أول مصري - بعد « يعقوب صنوع » اليهودي - وضع مسرحية باللغة العربية .

النديم . . قصصياً

كتب النديم عدة حكايات، اتخذها أداة لتضمين آرائه في إصلاح المجتمع المصري؛ ولهذا غلب عليها الوعظ والتثقيف. ولم يكن منظوراً أن يفكر النديم في الوفاء بحق الفن، لأن الفن القصصى كان في بدايته، ولا نخال النديم درس قواعده وأصوله، بل لا نخاله اطلع على الصحف الشامية التي عنيت أيامه بنشر الأناصيص المترجمة والموضوعة وعلى رأسها مجلة «الجنان» اللبنانية. فاصطناع النديم الحكاية في صحيفته الأولى (التنكيث والتبكيث) إنما كان من باب تنويع الألوان الأدبية، ولأن أسلوبها أقرب إلى أسلوب المسامرة المألوف لدى الشعب. وخلت صحيفته (الطائف) و (الأستاذ) من الحكاية إلا من قضية نشرها في الأستاذ تحت عنوان (المرافعة الوطنية) يمكن أن نعدّها أقصوصة، ولعل النديم - عندما اشتهر أمره - صار كل ما يكتبه مقبولاً فلم يعد يصير على اصطناع الحكاية.

وتجتمع حكايات النديم تحت عنوانين كبيرين:

١ - حكايات وصفية: سرد فيها وقائع مقصودة لذاتها. ومنها قسم كتبه بالعزبية الفصحى، وذلك: (سهرة الأنطاع) و (غفلة التقليد)، وقسم كتبه بالعجالة العامية، وذلك: (محتاج جاهل في يد محتمل داعم) و (تخريفة خد من عبد الله واكل على الله) و (كلها عيشه وآخرها الموت) و (عربي تفرنج) و (هف.. طلع النهار) و (تخريفة الجنون فنون).

٢ - حكايات رمزية: سرد فيها وتائع غير مقصودة لذاتها، فجعلها أقنعة تشف عما وراءها، واشترك في الإيحاء بالمقصود منها سياقها وطريقة علاجها والظروف التي كتبت فيها. ومن هذه الحكايات: (مجلس طبي على مصاب بالإفرنجى) و (المرافعة الوطنية).

هذه الحكايات العشر عالجتها في الرسالة ، ونختار منها هنا ثلاثاً :

سيرة الأنطاع (١) : (من الحكايات الوصفية باللغة الفصحى) : تحكى أن مهذباً دخل داراً لاهية ، « فوجد عشرة من الرجال جالسين على الأسرة مبهوتين . . هذا واضع عنقه على كتفه ، وذا مكفى على المخدة ، وذاك يتمايل كالنائم ، وآخر واضع يديه على خديه ، ، فظن المهذب أن حادثاً حدث لرب الدار ، وسأله عن شأنه ، فأجابه بأن شيئاً لم يحدث ، وأن عادة هذه الدار أن تجمع الأصدقاء « كل ليلة للأنس والمناكبة » ، وأراد المهذب أن يعرف سر ما يرى من الهمود فقال لرب الدار : لعلمكم تدارستم تاريخ أوربة وعرفتم كيف تقدمت واهتمت بالصناعة والتجارة ووازتم بين ذلك وما فيه بلادنا ، فأجيب أن أوربة لم تخطر على البال لأنهم لم يغادروا مصر ، فعقب المهذب بأن مغادرة البلاد ليست شرطاً للوقوف على حقائق الحياة والانتفاع بها وبأن الصحف والمجلات تكففت بالسفارة بين أقطار المعمورة ، فرد عليه رب الدار : أن الصحف هواية الخراجات وأن المؤلفات شغل العلماء وما هم بخراجات ولا علماء .

فصحح له المهذب فكرته عن الصحف وقرر أنها « السنة الأمم ، وترجان الملوك ، تنقل .. أغراض الملوك ، وأحوال الأمم ، وسير التجارة ، وأعمال العقلاء ، وصنائع العلماء ، وخطب النبهاء ، وتاريخ الأذكىاء ، وما قامت به هذه الأمة من عمار وطمنا ، وحمايتها له ، وحفظه من امتداد أيدي الغير إليه ، وما أهملت فيه تلك الأمة حتى خانتها الغريب ، وتداخل في شأنها ، وحجر على أهلها عوائدهم ومذاهبهم . فرد رب الدار : « هذا شيء يوجب وجع الدماغ ، ويشتت الفكر ، ولا يشتغل به إلا من ليس له شغل » .

فنقل المهذب الحديث إلى الشؤون الداخلية لعلمها أهمتهم . فأوضح رب الدار أنها لا تمهمهم ؛ « فإن البلاد إذا تقدمت أو تأخرت لا تفيدنا شيئاً

أحسن مما نحن فيه ، فكل منا دله بيت عظيم بحوش واسع ، ومضيفة لطيفة ،
وعنده من الخدم ما يقوم بإدارة أشئنا له ، وقد تركت لنا آباءنا أموالاً لتفنيها
الأيام ، فنحن في نعمة عظيمة ... لانخرج من البيوت إلا قبل الظهر بقليل ،
ونعود إليها وقت العصر للمسامرة بالمضحكات والنكات اللطيفة ...
يتعاطى كل منا منزوله . ثم تدور النكتة بيننا ، فإذا ونن الإنسان وخدر
قام ودخل محل النوم حسب العادة ، فبييت مبسوطاً لا يسأل عن الدنيا
ولا من فيها .

ثم التفت إلى أقرانه يسألهم : « رأيكم إيه يا أسيادنا في هذه العبارة »
فأجابوه جميعاً في صوت واحد : « نفدش غير كده ، إحنا مالنا ومال الدنيا
والتجارة والتواريخ احنا رايمين نبقى زى الافرنج اللي كل ساعه يقولوا :
الدنيا جرى فيها أيه ؟ والجرائل قالت إيه ؟ والتلغرافات عادت إيه ؟ زى
اللى الدنيا ملكهم ها .. ها .. هع . »

ولم يطق المهذب صبراً ، فأعلن فيهم رأيه : « هكذا تكون حال من لم
يتهدب صغيراً ؛ فإنه يخرج أسير شهواته ، بعيداً عن إدراك المعالي ، جباناً ،
بليداً ، غيباً . »

هذه السهرة (سهرة الأنطاع) — كان وصفها مقصوداً للنديم ؛ ليسين
مدى الاضطراب المحدقة بالوطن ، بانصراف الوطنيين أو بعضهم عن التفكير
فيما يرقى بالوطن ، وينهض به ، وباشتغالهم بتوافه الأمور ، وبالموالبقات
التي تستهلك المال والعرض والمروءة ، وتدمغ مدمنها بالجبن والبلادة
والغباء .

ومن أجل دذا كاه حرص النديم على أن ينقل صورتهم التي وجدهم
عليها ؛ فهم (على الأسرة مبهوتون ساكتون لا يتكلمون ولا يتحركون
ولا يرفعون أبصارهم) فنقل صورة الأحياء الموتى الذين لا خير فيهم
ولا أمل يرتجى من أمثالهم ، بل إن لهذه الصورة أشكالاً : (هذا واضح

عنقه على كتفه) - كأنه يريح هذه الكتلة التي تسمى الرأس بعد أن طار عنها العقل ، و (هذا مكفى على الخدة) - كأنه حيوان ذو أربع ، و (هذا واضع يديه على خديه) - كأنه تمثال شل عن الحركة .

ثم إن النديم كان حريصاً على أن يكشف سر همودهم ؛ فنفى أن يكون ما أصاب أفئدتهم بسبب فكرهم في تمدن أوربة وتعودهم ، ونفى أن يكون ذلك لطول ما عملوا في البحث عن الوسائل الكفيلة بانتشال الوطن ، وأنطقهم بأن تقدم البلاد لا يفيدهم ، وبأن المدنية التي يفهمون قصور وأموال وخدم وحشم .

ثم جعلهم يعترفون أنهم إنما يجتمعون للكيف .

ثم كان النديم حريصاً على أن ينقل إلينا آراءهم في الحياة الصاعدة : « شئ يوجب وجع الدماغ . . . الخ ، وهم لا يريدون أن يوسموا بالجنون ؛ هذا النعت الذي أطلقوه على الإفرنج الذين شغلوا بالدنيا والتجارة والتواريخ .

كان النديم حريصاً على هذا كله ليبين - من خلاله - مدى الخسارة التي تلحق الوطن من أمثال هؤلاء : (الأنطاع) - وهو وصف اشتقه من إطلاق العامة على البلاد الثقلاء الذين حرموا الإرادة والحيوية - فلما عرف يحنون ثمرتها ، ولا تجارة يسعون في تسميرها ، ولا صناعة يهتمون لها ، ومجالسهم مجالس اللهو والتبطل لا مجالس الآداب والمعارف .

ولم يستطع النديم أن يبدئ رأيه في أطواء حكايته لتتسرب إلى القارىء دون أن يحسه واعظاً ، فقام بدور الراعظ المثقف مرتين : مرة عندما شرح الرسالة الحقيقية للصحف ، ومرة عندما أعلن بأسه من صلاح الحال على أيدي أسرى الشهوات الجبناء البلاد الأغبياء ، فلا أمل في أن يبعثوا من

قبور غفلاتهم إلى جنات النهضة . وسيأتي يوم يصبح في موضع العجب
جنهم « وسعيهم في إعدام المعارف بما ألقوه من اللغو والبطالة وفساد
الأخلاق ، وما كانوا يفعلونه من القبائح والذائل في سهرة الأنطاع » .

عربي تفرنج (١) :

(من الحكايات الوصفية بالعبارة العامية) : من الظواهر الاجتماعية التي
تنبه النديم إليها نسيان أبناء الوطن كل ماهو وطني بعدما يسافرون إلى
أوربة باوصلة التعلم فيها ، إذ يعودون يشكرون حقوق بلادهم وأهلهم ،
ويبرعون منها ومنهم ؛ لأن تعليمهم قد صيرهم عبيدا للغرب ولكل ماهو
غربي ، وتقرأ للنديم عن ولد لأحد الفلاحين عاد من بعثته بعد أربع سنوات ،
وكان أبوه في استقباله على المرفأ لدى عودته ، فلما شاهده جرى نحوه
متلفها فرحاً يحنه ويقبله ، فدفعه الولد عنه وهو يقول له : « سبحان الله
عندكم يامسلمين مسألة الحزن .. دى قبيحه جدا » .

فسأله الأب : « أمال يا بنى نسلم على بعض ازاي » ؟ فأجابه : « قول :
بون أريفي وخط إيدك في إيدي مره واحده وخلص » ، وألبس على الأب
فقال لابنه : « هو يا بنى أنا بقول مهوش ريفى » ، وجاءه التحقيب :
« مش ريفى (ايه) يا شيخ .. لآتم يا اولاد العرب زى البهايم ، ولم يسع الرجل
الطيب إلا قوله : « الله يسترك يا عيط والله جا خيرك .. يا بنى فوت ..
روح فوت » ، فلما وصل إلى القرية صنعت أم الولد طاجن لحم وبصل
فلما رآه جرى بينها هذا الحوار :

- زعيط : ليه كترت من ال... .
معيكه : من ال... إيه يازعيط
زعيط : من البتاع اللي... إسمه ل... يه
معيكه : إسمه يابني الفلفل
زعيط : نو... نو... ال... ده... ال... بتاع اللي ينزرع .
معيكه : الغله يابني
زعيط : نو... نو... ده اللي يبقى له راس .. في الأرض .
معيكه : والله يابني ما فيه ريحة النوم .
زعيط : البتاع اللي يدمع العين .. إسمه أونيون .
معيكه : والله يابني ما فيه أونيون ولا .. دا لحم يبصل .
زعيط : سي .. سا .. بصل .. بصل .
معيكه : ويا زعيط يابني .. نسيت البصل .. وانت كان أكلك منه .

هذا مثال من السخرية مجسم لبعض من يتعلمون من الشرقيين في أوربة،
يعود وقد نسي أهله وعاداتهم ولغتهم ، وأصبحوا جميعاً موضع تحقيره .
ولقد يبدو النديم مسرفاً في بيان سخريته ، ولكنه لم يعد واقع أفراد من
قصار النظر ، ممن يعودون من أوربة ، فيرتكبون حماقات يندى لها
الجبين .

المرافعة الوطنية (١) : (من الحكايات الرمزية) خلاصتها أن (الوطن)
العزير ادعى على أبنائه لدى محكمة الحقوق أنهم لا يؤدون له واجباتهم

(١) الأستاذ - أعداد ٢٠/٩/١٨٩٢ و ١١ و ١٨/١٠/١٨٩٢ .

الوطنية ، وأنهم أعضوا عن حقوقه عليهم وتواظفوا عليه ، بعد أن أحلهم الوطن « في روضة خصبة الأرض ، طيبة التربة » ، وانعقدت هيئة المحكمة برئاسة (النظام التام) وعضوية (القطن) و (العمران) ، فتأدى منادى العدل على الخصوم ، فمثل (الوطن) الشاكي و (المدنية الحاضرة) عن المشكوكين ، وشرح الوطن دعواه ، فأشار إلى أن « الأمة المكفولة حقوقها بمحاكم متنوعة الاختصاص هي أمة المدنية والمساواة في الحقوق الوطنية ، وأقر بقبوله رأى المحكمة في النزاع المعروف ، وطالب أن يكلف أبناءه أن يعطوه حقوقه الشرعية والمدنية ويلزموا رسوم دعواه ، وقامت (المدنية الحاضرة) تدفع عن الأبناء تهمة العقوق ، وتؤكد أنهم ما حصلوا إلا قليلا من حقوقهم ، فهم في بلادهم بمنزلة الأضياف ، لأن الوطن (المدعى) ترك الثروة والجاه والنفوذ للأجانب ، فسقط بذلك كل حق له على أبنائه ، ووجب لهذا أن ترفض دعواه .

وقال (الوطن) : إن هؤلاء الأجانب الذين تعرض بهم (المدنية الحاضرة) رأوا المشكوكين « سائرين خلف أهوائهم فجاءوهم بالمحسنيات والمشتريات ، وعرضوها عليهم ، فانكبوا عليها شراء واقتناء ، حتى إذا فرغ ما بأيديهم من المال عادوا إليهم بطلب الذهب بالربا الفاحش ، وانتهى الأمر ببيع المرتهن على ما أخذوه ، فوضع الخبير يده على ما استحقه ، ونهضت (المدنية الحاضرة) فتحدثت عن اهتمام أبناء الوطن بالزراعة والصناعة ونفت عنهم تهمة الجهل ودعوى التهاون ، وهنأتقدم الوطن يلتمس تعيين (خبراء) « ليعاينوا هذه المعامل والورش [المزعومة] ، والحرف وأربابها ، والتجارة وأهلها ، والأملاك وأصحابها ، وأجيب الوطن إلى ملتتمسه ، وأجلت الحكومة إلى جلسة ثانية .

وفي هذه الجلسة الثانية قرىء تقرير الخبراء ، ومجمله : (أن البلاد في مبدأ القرن الحادى عشر الهجرى كانت متفهرة في الصناعة والفلاحة ،

وأن الحكومة كانت فوضى بسبب استبداد الكشافين والمليزمين ،
والأمية كانت متسلطة ، والحجارة كانت متأخرة ، والنيل كان يغرق البلاد .
وفي آخر العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجرى أمكن لمحمد على
أن يؤسس حكومة ثابتة ، ويجند الجنود ، ويفنى الحصون ، ويفتح
المدارس ، ويوسع نطاق الزراعة ، ويستقدم الصناع والمعلمين من أوربة ،
وسار أبناؤه سيرته - هذا في الفلاحة - أما الصناعة فقد تأخرت ؛
بسبب إقبال المصريين على البضائع الأجنبية ، وتركهم صناعتهم ، وانهماكهم
في الأشربة المسكرة ، وفي القمار ، فأخذ الأجنبي أموالهم ، فأثرى وصاروا
فقراء يتكففون) .

وقضت المحكمة بما يلي : (بتشكيل لجنة لتأديب أبناء الوطن بسبب
تهاونهم في صناعاتهم وترويجهم مصنوعات الأجنبي ، وتعزيزهم على لسان
الاستاذ ، وسائر الصحف بسبب ميولهم مع الأهواء حتى أضاعوا المال
والعقار ، ولوم الأثرياء وتعنيفهم بسبب تقصيرهم في إنشاء المدارس
لتربية أبناء الوطن ، وإقامة « الاستاذ » رقيباً على تنفيذ هذه الأحكام) .

واستأنفت (المدينة الحاضرة) الحكم ، وتدخلت الدولة خصيماً ثالثاً
في القضية ، ودفع كلاهما عن موقفه ، وبما قالتها (المدينة الحاضرة) : إن
أبناء الوطن يقومون بواجباتهم ، والذين قصرُوا نلوا منهم ، فلا ينبغي اتهام
الجميع بالإهمال . وبما قاله ممثل الدولة : إنها لم تسع في موات الصناعة ،
ولم تال جهداً في نشرها وفي إنشاء المدارس ولسكن أبناء الوطن فقروا منها
وجهلوا مقاصدها السنوية ، وغفلوا عن شرف الوطن وواجباته ، فأهملوا
وتقاعدوا ، وجلسوا على القهاوى والحانات ثم أعلن رئيس
هيئة المحكمة (إفتال باب المرافعة) ، وأن يكون النطق بالحكم بعد أسبوع .

هذه هي القضية ، ولكن رمزيتها - كحكاية - تتمثل في القالب

الذى صيغت فيه ، وفي الشخصية المعنوية لأبطالها . فأما القالب - وهو قالب الدعوى القضائية - فقد جعله النديم رمزاً للشكوى التي تتردد في النفوس ولرغبة كل مصلح في أن يستجيب أبناء الوطن للإصلاح وينصرفوا عما منه الشكوى .

وأما الشخصيات - وهي كثيرة - فقد كان كل منها رمزاً : فالمدعى هو (الوطن) و « صناعته » إيواء أبنائه وإعطاؤهم ما يلزمهم للثبوتة وضروريات المعاش ، - أي أنه لأبنائه جميعاً يعطيهم ويتكفل بهم ، ومن شأنه ذلك حقه الاعتراف بفضله والإقرار بحميلة ومبادلته إحساناً بإحسان . وللوطن (محل مختار) هو مكتب (المروءة) في شارع (الإنسانية) ، فما يطلبه الوطن من حقوقه سبيله الارتفاع إلى مستوى الخلق الفاضل من نحو المروءة التي تقوم على النجدة والشهامة ، ومن نحو الإنسانية التي ترقى بأصحابها عن الصغار والدون . والساعى بين الشاكي والمشكويين « المحضر » هو (العفاف) وفيه إيماء لهم بهذا الخلق الطيب ليتلسوه ويهجرُوا ما هم فيه من الفجور والبهتان .

والقضاة : (النظام العام) و (التمدن) و (العمران) ، وفي اختيارهم للقضاء إشارة بارعة إلى حاجة الأمة إلى هذه الثلاثة لقيام الحضارة والحفظ الحقوق المقدسة . و (والمدنية الحاضرة) ينصّبها النديم وكيمة عمن يشكّوهم الوطن ، وهي شيء غير التمدن وخاصة إذا لزمها النعت ، فأناطها بواقعها ، ولهذا أقامها في حارة (الكسل) قريباً من خان (الفتور) ، فهو يقرع أبناء الوطن بسوط الإهمال ويسمهم بميسم التراخي ، لعله قد غمى عليهم فظنوا في واقعهم السلامة والكرامة ، وهو غير ذلك .

وكثيراً ما تقرأ قضايا الناس ، فهي مادة خصبة للقصى ، ولم نقرأ مثل هذه القضية الفريدة التي صنعها خيال النديم ، مستقيماً مادتها من واقع الحياة ، واصطنع لها هذا القالب ، وجعل أبطالها - وهم شخصيات معنوية كما ذكرنا -

يُصرفون كما يتصرف الناس، ولكن هدفه لم يكن الفن القصصي، وإنما هدفه الإقناع برأيه في (المدنية الحاضرة)، أقول: ولعل «عبد الرحمن السكواكي»، انتفع بهذه الحكاية حين كتب كتابه (أم القرى) ودعا فيه إلى خلافة عربية مركزها الجزيرة العربية .

ولتقويم الجهد القصصي لننديم نجمل هذه الملاحظات :

أولاً: تميزت حكايات النديم بميزة هي طابعها المحلي، فقد صور فيها العيوب الشائعة في عصره، واقترح لها المخرج والدواء . وإذا كان الأدب القصصي العالمي يتجه اليوم إلى تصوير الحياة اليومية الواقعة فإن النديم يكون من سبقوا بالتطبيق في مصر .

ثانياً: أحيانا النديم الحكاية العربية القديمة، فأسهم في التمهيد للأدب القصصي الناضج .

ثالثاً: لم تكن مشكلة الفصحى والعامية تجسدت في الأدب القصصي في عصره كما حدث بعد . ومع ذلك رأينا النديم قد اجتهد بجاسته الأدبية فوضع للعامية حكايات وللخاصة حكايات .

رابعاً: غلبت السهولة على أسلوب الحكايات ، وأكثر فيها من ألفاظ التهكم والسخرية .

خامساً: غلبت العظة عليها ، لأنه قصد منها التثقيف - لا الإمتاع الفني .

سادساً: سيطرت فكرة الإصلاح الاجتماعي على قلبه، فجاءت الحكاية كما قلنا - واحدة من أدواته لنشر آرائه .

وأخيراً: مهما يكن جهد النديم في الأدب القصصي قصيراً ومحدوداً فقد وضعه هذا الجهد في مصاف الرواد .

النديم .. كاتب مقامات

ألف النديم كتاب (المسامير) — كما عرفنا من قبل — حينما كان في الأستانة ووقع في خصومة « أبي الهدى الصيادى » ، وسير النديم أصول الكتاب إلى مصر ليُطبع فيها وينشر . والغرض من تأليفه ونشره فضح الصيادى ، وكما قال النديم نفسه في تقديم كتابه : تحقيق ما وصل إليه من أعمال إبليس ، وخليفته التعميس ، ورفع الستار عن أعمال ابن صياد ونشرها بين العباد ، تبصرة للأحباب ، وعبرة لأولى الألباب ، حتى لا يقع في شركها حى ، بعد ما تبين الرشد من الغى .

والجزء الأول الذى وقعنا عليه من هذا الكتاب تسمية مسامير ، تمثل تسع حلقات فى حكاية طويلة ، جاءت الحلقتان الأولىان منها كالتهديد .

فأولا : يجتمع العارف بالله مع إبليس ، ليقف على سر هلعه .

ثانيا : يسرد إبليس قصة حياته ، وابتلائه بالصيادى الذى عطل وظيفته

ثالثا : يزوج إبليس أبا الصيادى وأمه .

رابعا : يلوث نطفة الصيادى بماء الشياطين

خامسا : يتتبع حمله واقترائه بما أصاب العالم من ويلات .

سادسا : يشرف على وضعه وتسميته وتربيته .

سابعا : يشرح سبب عتايته بابن الصياد .

ثامنا : يورد البراهين على وحدانية الله وقدرته ، ويوضح أنه لم يجد

أفضل من اصطناع الصيادى للطعن فى الإسلام والتشكيك فيه .

تاسعا : يلخص الأوهام والشبه التى فرق بها مجتمع المؤمنين .

واتخذ النديم لكتابه هذا قالب المقامات ، وأسلوبها ، وجعل لمقاماته

راوية وشيخنا ، فالراوية هو (الشريف أبو هاشم بن الشريف حازم) ، والشيوخ هو (قطب العارفين ، وقدوة الهداة والمرشدين ، المربي الصالح ، والعابد الناجح ، الشيخ مدين ، الشهير بأبي القاسم العارف بالله) .

وننقل لك من المسار الأول قوله : «حدث الشريف أبو هاشم ، قال : أملى علينا العارف بالله أبو القاسم ، أنه نشأ في الطاعة ، على مذهب أهل السنة والجماعة ، واشتغل بالصلاة والصيام ، وذكر الله تعالى والناس نيام... ففضى أربعين سنة في العبادة ، والتلقين والإفادة ، ولم يخطر له وسواس ، من الجنة والناس ، فأخذه العجب من طهارة قلبه ، وانقطاعه لعبادة ربه ، مع علمه أن إبليس اللعين ، عدو للصالحين ، وبدا له أن يبحث عنه ، ويسأل عن عدم قربه منه ، فلبس ثوب الأسفار ، وجاب القيا في البحار ، ودخل البلدان ومسارها ، وطاف مشارق الأرض ومغاريها ، حتى اجتمع بشيطان ، من أولاد الجان ، رآه منزويا في بعض الكهوف ، في واد فقفر مخوف ، فدنا منه بلطف ، وأظهر له الحنان والحطف ، وقال له : أين أبوك إبليس ، ذو المكر والتدليس ؟»

فقال : هو حزين كئيب ، وانظره خلف هذا الكئيب ، فبرول إليه بقوة ، ليحقق الأمانى المرجوة ... فدخل العارف في سرداب ، يملوء بالتراب ، لأنور يهتدى به في ظلماته ، ولا عصا يتوكأ عليها في عقباته ، فقرأ آية الحفظ والمعوذتين ، وأخذ يلبس الحائظ من الجهتين ، حتى عثرت أقدامه بندى نفس عال ، وجسم بال ، فقال : ما هذا الجسم الرميم ؟»

قال : أنا إبليس الرجيم ، أنا الكئيب الحزين ، أنا الضعيف المسكين ، أنا اللعين على كل لسان ، أنا المظلوم من بني الإنسان ، أنا المصاب بما لو صب على الجبال ، لفتتها وألحقها بالرمال ، أنا مسلوب السلطة والسطوة ، أنا المتعثر في كل خطوة .

أنا الذى ماشكوت الدهر من أحد
ولا بليت يفقد الأهل والولد

من أنت أيها الزائر ، لهذا البائس الحائر ؟ . فقال : أنا أحد الهواشم ،
مدين أبو القاسم . فقال إبليس : مرحبا بالعارف بالله ، الذى حفظه الله
وتولاه . أبطأنا عنك فحمتنا ، وبعدنا عنك فزرتنا ، ولكن لا تجلس حتى
تعطينى العهد والميثاق ، أنك لاتوسوس لى بما يوقعنا فى الشقاق .

فقال العارف : ماهذه البلية ، أعكست القضية ، وصار الإنسان ، يوسوس
للسيطان .

فقال إبليس : إنك من أهل الطريق ، وما جاءتنى المصيبة إلا من هذا
الفريق . ولا شك عندى أنك من العارفين ، وكبار المخلصين ، فإنى أوفدت
إليك كثيرا من الشياطين ، فوجدوا إيمانك ثابتا على أساطين ، ولكنى أخشى
أن تمكربنى كأبى الضلال ، وإن كنت محمود الخصال ، فقد رأيت منه ومن أتباعه
ما أوقعنى فى شر خداعه .

مسبح تدار على الأصابع خدعة والقصد منها الكذب والتدليس
عرفوا الطريق إلى الضلال فأوغلوا
فيه . ويلعن بينهم إبليس

وهذا هو الذى حرك قلبى الحريق ، لطلب العهود والمواثيق . فقال العارف :
ماهذا الخوف والغزع ، والفرق والجزع ، أين قوة قلبك ، أين جرأتك على
ربك ... أين تكبرك . أين تجبرك . أين تعاضمك على آدم . أين قسمك على
إضلالك العالم أين أعرانك المردة ، أين الأبناء والحفدة . ماهذا الضعف الذى
لحقك ، وماهذا الهم الذى محقك ، ومن هذا أبو الضلال ، الذى عرضك
للروال ؟ أشفقت عليك من كرب حرمت من هدوه — والعاقل من تولاه
مصيبة عدوه — هات يدك نخرج من السرداب ، وأسرع بالخبر والجواب ؛

فقد خلعت قلبي من بين الضالوع، وأجريت من عيني الدموع، فقام إبليس يتوكأ على الشيخ وهو في خبل، حتى خرجا من السرداب إلى ذروة جبل، فتهد عندما نظر الوجود بعينه؛ ثم حوّل وضرب بكفيه، وأنشد:

صنع الجميل يجب الأعداء ويزيل من قلب الحقود الداء
وأخو المروءة من يزور عدوه في كربه، ويجيب منه نداء
خفت الآلى بزورتك التي أحيت فؤادى. قد جعلت فداء
أهل صوبك الضعيف إلى غد وانقل حديثاً يملأ الأنداء.

وعلى هذا النمط من القالب والأسلوب - وعلى مدى تسعين صفحة من القطع الكبير - سارت حكاية الصيادى. يقول عنه إبليس - فى المسار الثانى - : « وبينما أنا فى فرح وسرور، بما أجلبه من المصائب والشور، بليت بداهية دهياء، ومصيبة عمياء، إذ طرق اوجود ضليل تعيس، من نسل كنعان لامن نسل ولد إبليس، فالتمته وأدبته، وعلته الشيطان وهذبه، فعاد إلى وأضاني عن الرشاد، وأوقنى مع جندى فى الفساد... »

قد عطل الملعون كل وظائفى من وقفة الديوث للخمار،
ويقول عن نسبه - فى المسار الثالث :

نسب عليه نجاسة وظلام بالث عليه لقبحه الأنعام
ويقول فى المسار الرابع : « أيتها الأمم الحاضرة، والعوالم الناضرة . استعدوا للبلايا، وهجوم الرزايا، وحدث الكروب والهموم، والشدائد والغموم، والمصائب والنكبات، والدواهي والحمرات، فقد آن ظهور مشير الفتن، وغارس الأحقاد والإحن، ومرغر الصدور، وجالب الشور، ومظهر الفساد، ومضل العباد، وناشر الزندقة، ومعلم الخرقه، ومزيف الأديان، وملقن الكفران، وجالب المهالك، ومخرّب الممالك. »

ويقول فى المسار الخامس - بعد أن سرد الأحداث والمحن التى صاحبت جفنين الصيادى على طول الدنيا وعرضها :

أرى الدين مالت للشقوط دعائمُه

وعرش قوى الإسلام ساخت قواعده

ويقول في المسار السادس — بعد أن أقام حفلا من وجهاء الأبالسة والشياطين ؛ لاستقبال الطفل لدى وضعه وتحنيكه بدم الخنازير ، وجاء دور تسميته : « ما لكم في جنون ، وما هذا الخلط والمجون ؟ ، أنسيتم أنكم مستترون بالإسلام ، بين سكان حلب وانشام ؟ سموه باسم نبي المسلمين ، وإن كان من الجرمين ، فتنهبوا من الوسن ، وسموه محمد بن الحسن . »

ويقول في المسار السابع عن تربية إبليس للصيد : « . . . وقد عاجلت أكفر الرجال ، فلم يوافقني إلا ابن صياد الدجال ، فلذا عنيت بتدريجه ، وتعليمه وتخريجه ، وأعدته ليوم كمين ، يحلب فيه مصائب المسلمين ، فإنه وإن أهانتني وهو غلام ، فسير يخنى في مستقبل الأيام ، يوم يستظهر القرآن ، ويكفر أهل الإيمان ، ويتخذ لهم جماعة كالأفاعى ، وينادون : المديار فاعى ، تحايلا على جذب المغفلين ، ووسيلة لجمع المشعوذين ، فقد محض الله للضلال عمله ، ومن يضلل الله فلا هادى له . »

وفي المسار الثامن : يورد إبليس البراهين على وحدانية الله ، ولكنه يؤدى وظيفته بين البشر من نحو قوله : « يقول (أى الإنسان) : الله لا إله إلا هو الحمى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم — أقول : هو الله ، وله شركاء من كل حى — يقول : الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء . — أقول : هو الخالق ، ولكنه ترك للطبيعة التصوير والإنشاء . . . يقول : إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون — أقول : لو أرانا نفسه لما تشوشت فى معرفته الأفكار . »

وفي المسار التاسع : أطال إبليس الحديث عن دسائسه ووساوسه

« حتى امتلأت الأرض بالأديان المتعددة، والمذاهب المتجددة، وحنى الحق إلى الأعلى القليل، من عرفوا الله بالبرهان والدليل... فتشعبت الأفكار، وظهر الطعن والإنكار، وانقسم الفريق الواحد إلى أفرقاء، وتحاذل الإخوان والأصدقاء، وتفرقت كلمة الاجتماع، وتعددت وحدة الأتباع...، ثم تنبه إبليس إلى أنه ابتعد عن الصيادي، فأدركته نوبة عصبية « أثارها التفكير في أمر ذلك الشحاذ، الذي صار بعد التسول يلقب نفسه بالأستاذ... »

وعهدنا بالمقامات أنها تنشأ للتفاسح بغرائب الألفاظ والتراكيب، وأن كل مقامة تمثل قطاعاً مستقلاً لا علاقة له بغيره إلا من حيث الشكل اللغوي، وإن كثرتها ارتبطت بالكديّة، وقد نجد فيها فوائد علمية متمتازة. أما النديم فقد تقدم بمقاماته هذه خطوة، إذ اتجه بها اتجاهها موضوعياً، وجعلها تتعاون في إبراز فكرته الواحدة.

ويلجأ النديم إلى التجسيم والتكرار والتأكيد؛ ليجذب القارىء إليه وإلى متابعتة، ويليق في روعه أن ما يذكره حقائق لآخيات، وهو أمر كان حريصاً على إيضاحه في المقدمة بقوله: « وأوصيك أيها المرید الناجح، أن تنظر إليها بعقلك الراجح، ولا تنزلها منزلة كتب الأدبيات والرقائق، فإن تلك تصورات وهذه حقائق... »

وقد وضح لك أن الفسكاهة الساخرة أو الدعابة الهازلة سيطرت على المقامات كلها. ووضح لك أن أسلوبها هو أسلوب الزخرف والصنعة البديعية، فشاع فيها بل سيطر عليها: السجع، والجناس، والطباق، والمقابلة، ومراعاة النظير، وتضمين الشعر وآى القرآن، وغيرها من ألوان البديع، ولكن النديم لم يستغلها ليغرب بها أو لتشادق باللمعة، وإنما جعلها — في الجملة — أدواته لعرض فكرته، وأدائها على الوجه الذى يريده، ولتحمل عنه تصويره

للصيادي في صورة إبليس البشر العملاق ، الذي يتضاءل إلى جانبه إبليس الشياطين .

وفي مقامات النديم — كما في سائر المقامات — ظاهرة واضحة هي الشعر ، تطالع في كل مقاماته قصيدة ، وفي المقامة الثانية قصيدتين ، وفي الأولى ثلاث قصائد ومقطوعة ، فضلا عن الأبيات المتناثرة من شعر النديم ومن شعر غيره . وكأن لم يكف النديم تعبيره بالثر لبيان حسه وإيضاح شعوره ، فالتمس الشعر معيننا لتدفق العاطفة وانسياب الشعور ومعينا له على ذلك .

وفي النثر والشعر كليهما تفوح رائحة منتنة من السباب والقذف والولوغ في الأعراض والحديث المكشوف عن العورات ؛ مما لا يشرف الهاجى أن ينطق به ، ولا يشرف المهجو أن ينعت به ، وجدير بنا أن نفرق بين النظر إلى مقامات النديم كعبث أخلاقي والنظر إليها كعمل فني ، وليس شك في أنها من الوجهة الفنية عمل أدبي رائع يضع النديم على رأس « المقامين » في العصر الحديث .

ولقد يعد كثير من النقاد مقامات « اليازجى » و « الشدياق » أنضج المحاولات في هذا الفن في العصر الحديث (١) ، بيد أن مقامات النديم — التي لم يتعرض النقاد قبل لدراستها وتقويمها — تفرض نفسها على رأس القائمة ، فهي أنضج من مقامات اليازجى والشدياق بموضوعيتها ، وبحيويتها ، وبتسلسلها ، وبوحدتها الفكرية .

(١) القصة في الأدب العربي الحديث للدكتور محمد يوسف نجم — ص

النديم مترسلا

كتب النديم الرسائل قبل عمله في الصحافة وبعده ، وكانت له في كتابها المجموعتين صناعة تختلف إلى حد ما عن صناعة الأخرى .

ففي رسائله الأولى غلبه سلطان اللفظ ، شأنه شأن كثير من المترسلين والكتاب في مبدأ النهضة الحديثة ، الذين أفرطوا في التفنن ، وتوفروا على الزخرف ، وتهافتوا على البديع .

هذا الزى الأدبي تقمصه النديم ، وأوسعها تفننا ، فرأينا فيه ما يلي :

(١) السجع : وهو في رسائله ألوان وأشكال .

ففيه السجع المألوف بين كل فاصلتين كقوله : « كتاب تهيم فيه الألباب ، هيام قيس بالرباب ، وتميل إليه الأرواح ، ميل النور إلى الصباح ، وتنتعش به القلوب ، انتعاش الولي بعلم الغيوب ، وتحن إليه الأفهام ، حنين الأغراض للسهام » (١) .

ومنه السجع بين الفاصلتين الأولى والثالثة ، ثم الثانية والرابعة ، ثم الخامسة والسادسة ، ثم تتكرر الصورة ، كقوله في رسالة كتبها إلى الشيخ محمد العشري في مناسبة نجاحه من حادث (٢) : « منحتنا اللهم سلامة الروح فلك الحمد على هذه المنحة ، حمداً بلاعد ، ووهبتنا صحة لب البيان فلك الشكر على هذه الصحة ، شكراً بلاحد ، يلوح بدره ، ويفوح عطره — روح هو عين الحياه ، ومدد العقل ، ولب هو منطق الشفاه ، وسند النقل ، طال عمره ، وجمال أمره » وهكذا .

(١) رسالة (حفظ الودائع لدرر البدائع) — سلافة النديم ١ / ٤١ .

(٢) سلافة النديم ١ / ٢٨ وعنها ننقل الشواهد التالية .

ومنه طرد السجع في ست فواصل ثم تكررارها ، كقوله في الرسالة السابقة : « ان تكلم بلسان فيبيان، من جنان ، وان خط ببنان ، فياحسان ، عن عرفان - وان انتسب ، فنعم النسب ، مع الحسب ، ولا عجب ، فإلى العرب ، فن الأدب . »

ومنه السجع بين الفاصلتين الأولى والرابعة ، ثم اثنائية والخامسة ، ثم الثالثة والسادسة ، ثم السابعة والثامنة ، كقوله في الرسالة ذاتها : « أستاذي ، وقدوتي ، وعين بشرى ، وملاذى ، وعمدتي ، محمد العشري ، قام ذكره ، ودام شكره . »

ومنه غير أولئك من الألاعيب التي استوفيناها في الرسالة .

(ب) الجناس : ومنه ناقص وتام ، فأما الجناس الناقص فبشوات في رسائله كلها ، وأما الجناس التام فمشهور هنا وهناك ، وهذا مثال منه مجتمع في رسالته التي مدح بها الوجه حسين بك حسني (١) : « راجت به بضاعة الادب ، وفرد عليه الناس من كل حذب ، وتشرفوا بمقامه العزيز ، وهو يميز كلا ويميز (من الجائزة والإجازة) ، فكم أعطى سائلا وأفتى سائلا (من السؤال - طلب المعروف ، والسؤال - طلب المعرفة) وأظل قائلا وأجاز قائلا (من اقبولة والقول) ومنح قريبا ، ووصل قربي (الأولى الصلة والثانية الاقارب) ، وحسن أسفارا وأحسن أسفارا (الأولى السكتب والثانية السير في الارض) ، ورفع أعلاما ونفع أعلاما (الأولى البنود والثانية الإعيان) . . . الخ . »

(ج) الطباق والمقابلة : اقرأ له من رسالته (تنبيه الليب وتسلية الحبيب) (٢) : « ظننت السراب ماء ، وتخليت السحاب سماء ، واستنزكت

(١) سلافة النديم ١ / ٥٣ .

(٢) سلافة النديم ١ / ٤٦ .

البدن إلى الأرض، واشتغلت بالنفل عن الفرض، وتوهمت الدر من الخزف
والسلامة في التلف... إلخ.

(د) التورية: ومنها قوله في رسالة لصديقه أحمد وهي (١): «شيد
للبراعة أبياناً على أحسن أساس، فدارت أبيات غيره البلاد تقول:
لامساس... ماغرس كسوحه غارس، ولادخل حومته فارس، فالأبيات
الأولى أبيات الشعر لا السكن، وفي «فارس» تورية باسم أحمد فارس
الشدياق.

(هـ) اقتباس الآي من القرآن الكريم: ومن غرائب إقامة الرسالة على
فاصلة من عنده وفاصلة من القرآن الكريم مع تمكن الدخول على الآية.
كتب إلى صديقه عبدالعزيز بك حافظ حينما شاهده يجتمع مع بعض المتأريفة
للاشتغال بالخرافات (٢): «لاحول ولا قوة إلا بالله، اشتبه المراقب بالله،
واستبدل الحلو بالمر، وقدم الرقيق على الحر، وبيع الدر بالخزف، والخزف
بالخسف، وأظهر كل لثيم كبره، (إن في ذلك العبرة)، سمعا سمعا فالوشاة
إن سعوا لا يعقلوا، (ويجبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا)، فكيف تشترون
منهم القار في صفة العنبر، (وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم
أكبر)، وكيف تسمع الأحباب لمن نهى منهم وزجر، (وقد جاءهم من
الأنباء ما فيه مزدرج)... إلخ.

(و) تضمين الشعر: ومنه كثير.

(ز) تضمين الأمثال وقد يرسلها لإرسالا كقوله في رسالة بعث بها من مهربه
إلى صديق وقد ضاقت بالنديم سبل العيش (١): «... جاءني التسابع

(١) سلافة النديم ١ / ٣٦.

(٢) سلافة النديم ١ / ٣٠.

(٣) سلافة النديم ١ / ٥٨.

وعاد بنحفي حنين ، فرجع الحزام إلى الطيبين ، ولم أقل له حين انغبن : الصيف ضيعت اللبن . بل قلت له : قل لراجيك والأمر ، ألا وانحلي يا أم عامر ، فما هو إلا أن يصل الكتاب إلى رحيب المنزل ، وأقول له : أمرت فانزل ، فأخذ الخرج بلا خراج ، وانصرف بلا لجاج ، بعدما قال : كتبت لوسيع الذرا ، وكل الصيد في جوف الفرا . . . الخ .

(ج) براعة الاستهلال وحسن الختام - وكلاهما شائع في رسائله .

ومع هذا التفنن المصنوع والمصطنع لا نتوقع إلا استهلاك المعاني والتضحية بالأفكار ، وهكذا كانت رسائل النديم قبل عمله في الصحافة إلا قليلا ، استوفى في هذا القليل ما قصد إليه من عرض أفكاره وتصوير مشاعره . وقرأ في رسائله إلى الشيخ محمد العشري في مناسبة نجاته من حادث وإلى صديقه أحمد وهي بيته الشوق ومدحه ، وإلى عبد العزيز بك حافظ ، والسيد عبد الواحد الحريري يسليهما عن الفصل من وظيفتهما (٢) - تجد مصداق ذلك .

فلما اتصل النديم بالصحافة حدث تطور في أسلوبه بعامه ، وظهر واضحا في مقاله الصحفي ، فانساب الى حد ما أسلوبه فيه ، وارتبطت في الجملة بالفكرة أكثر مما ارتبطت باللفظ . ولذا استحق شهادة من عاصروه بأنه (٢) لا يجارى في ميدان البراعة ، وبأنه بليغ أقر له بالرق أهل البراعة ، وبأنه (٤) كاتب مجيد ، وناثر مبدع ، قوى الفكر ، بليغ القلم .

(١) سلافة النديم ١/٢٨ و٣٦ و٤٦ و٤٩ - على التوالي .

(٢) جريدة التجارة - عدد ١٨٧٩/٨/٢٣ .

(٣) مجلة المجلات العربية - عدد أبريل ومايو ١٩٠٧ .

هذا التطور امتد أثره إلى الرسائل ، وإن لم ينسلخ بعضها عن الصناعة اللغزية ، كرسالته التي هنا بها عثمان باشا رفقى ناظر الجهادية ، وجاء فيها (١) :

«مطالع سعدنا يا آل مصر بدور نورت أقطار أفق
وشاهد صدقتها أن الخديوي يحاملنا مع الحسنى برفقى

فتم في عهد غمدك- سيف النصر - غير مرتاع ، ففى سياسة ربك ما يجعل معشوقتك من الأتباع ، فقد عرف حدك فى مستقبله وماضيه ، ومن عرف الحدود غالب فى تقاضيه ، وكم جردت ولكن على عدم ، وشمت وما فى جسمك دم ، وكم وصلت ولكن إلى ساعد ممنون ، وشربت ولكن من حمأ مسنون ، ومازلت تعاني حتى تكلمت ، وتقبل الأقدام حتى تثلث . أما وقد وصلت إلى من يحبك إذ قبضك ، ولا يتقلد إلا النصر عوضك ، فقد فزت بظفرك وإنجادك ، وأمنت على بيتك ونجادك ... فإنه البحر الذى روى أوارك ، وأحسن فى جميع منازل جوارك ، فكم أطلعك على السرائر ، وأذاقك حلاوة شقت سراير ، وأطلعك بدرأ فى سماء الظهور ، وجعلك شفاء لما فى الصدور ، فوقفت بحكمته على بواطن الرجال ، وترفعت بعفته عن ربات الحجال ، فقبل قدمه إذا وصلت إليه ، وكن كجوده طوع يديه .

فهذه الرسالة كتبها النديم وهو قريب عهد بزمان التصنيع والتفاسح ، فالترزم فيها السجع ، وأشاع فيها الطباق والجناس ، والتمس التورية فى رفقى ، وفى «عرف حدك» .

(١) جريدة التجارة - عدد ٢٣ / ٨ / ١٨٧٩ .

ونخطو مع النديم خطوة ، ونقرأ له سبع رسائل ، منها خمس كتبها إلى الزعيم « أحمد عرابي » في منفاه (١) ، وواحدة كتبها إلى صديق أدركته حرفة الأدب فهو يسليه (٢) ، وواحدة كتبها إلى صديق في قضاء حاجة له (٣) .
في هذه الرسائل السبع احتفال باللفظ والمعنى معاً .

فأما رسائله إلى عرابي ففي شرح أحوال الثورة وتغير الطباع والأحوال ، والتبشير ببروز الفكرة الوطنية وتمنى الناس عودة عرابي ، والخوف من أن يؤدي تلاوم الزعماء في المنفى إلى تفرق الصف وازدياد الناس سوء ظن بهم وبحركتهم .

وهذه الرسائل الخمس كلها مسجوعة وفيها من الصناعة البديعة قدر موفور ، ولكنها لم تهمل المعاني المعروضة ، ويبدو أن النديم كان يقظها عبارة عبارة فجاءت متوازنة ، ونجد منها مثلاً من رسالته الثالثة حين تحدث عن الوطنيين الأحرار : « فتح الله أبصارهم فتبصروا ، وصفي بصائرهم فتنوروا ، وسقاهم شراب المحبة فائتلفوا ، وهداهم الصراط المستقيم فاختلّفوا ، وإذا قيل لنواحد منهم : هذا عرابي المشرب ، فرح كأنه فتح له مطلب ، أسنتهم رطبة بذكرك ، ومحافلهم مملأى بشكرك ، وقد زاد محبوبك ، ممن كانوا أبغضوك ، عندما رأوا فساد أحوالهم ، وانعكاس آمالهم ، فهم أشد شوقاً إليك ، ممن كانوا يجتمعون عليك . . . الخ .

فالصناعة اللفظية في خدمة الفكرة والمعاني في الجملة . وعلى نحو من هذا تجد رسالتيه إلى صديقيه .

(١) المذكرات السياسية ص ٨٥ وما بعدها .

(٢) الأستاذ - عدد ١٨٩٢/٨/٢٣ .

(٣) الأستاذ - عدد ١٨٩٢/١١/٢٢ .

ونخطو مع النديم خطوة أكبر ، فنجده يرسل ويرسل الكلام
لإرساله . وأمامنا رسالة كتبها من مهربه إلى صديقه الفرنسي يدعوه إليه في
خبيثه (١).

وما كتب إليه : « صديقي ولا أزيدك على المصادقة شيئاً ،
فابعدها إلا مقام الأبوة أو البنوة ، لى ستة أشهر لم يعلم بمكاني والذى
ولا شقيقى ، فضلا عن الأحباب والأصحاب ، وكم همت بمخاطبة
أناس كنت أرى منهم الخنو وشبه الإخاء أيام الرخاء ، فيضيق صدرى ،
وتجزع نفسى ، وتنكش أعضائى — عندما أهجس بذلك —
فأكف عن الكتابة بتذكرى انقلاب الناس بانقلاب الأحوال ...
ولما تذكرت وجودكم بالقرب منى ، ورأيت سهولة مخاطبتكم ، انشرح
صدرى ، ونشطت أعضائى ، فلم أدر إن كان ذلك لو ثوق القلب بأمانتكم ،
وعلم الروح بطهارة ذمتكم ، وصدق حريتكم ، أم لانقضاء زمن الاختفاء
على يديكم ؛ إذ تدل على ، أو تغرى من يدل على ، فسارعت بكتابة هذه
النيقة ، منتظراً تصديفك أحد الخاطرين ، فكن نفساً بحتاً حافظاً للعهد
فى زمن الشدة ، كما كان كثير من شداد العزائم من السابقين ، ولا تكن
جسماً صرفاً مانئلاً للبدنيات التى تنزل بإنسانية المرء إلى حضيض البهيمية ،
وبلغ قرينتك المهذبة سلام من ألقى نفسه بين يديك ، موقناً بأن الله تعالى
يلهمك الصواب ، ويجزيك فى شأنى على صراط مستقيم . »

لم يتلبث النديم فى هذه الرسالة لاقتناص سجعة أو تجنيس ؛ لأنه لم يكن
فى حالة تدعوه إلى تقطير مشاعره ، فألقاها دفعة واحدة . على أن فى المسألة
تعليلاً آخر ؛ إذ يجوز أن يكون النديم قد راعى ثقافة من يكتب إليهم ، فهو يرسل

الكلام إرسالا مع صديقه هذا الفرنسي- وكذلك مع صديقه المصرى الذى حمل الرسالة إلى ذاك الصديق الفرنسى - وكلاهما ثقف ثقافة أوربية - أما صديقه الذى أدركته حرفة الأدب ، وأما الشيخ محمد العشرى وأمثالهما ممن كتب إليهم سابقاً فإنه يكتب إليهم بما يلائم أذواقهم ويرضى ميولهم الأدبية .

النديم .. خطيباً

عندما يعيش الأديب - أى أديب - من أجل مجتمعه يكون من حقه المجتمع عليه أن يندمج في مشكلاته ويرعاها ويوجهها ويدي فيها رأيه .

وإذا كان هذا القول صادقاً بالنسبة لألوان الأدب جميعاً فإنه بالنسبة إلى الخطابة أصدق وأقوم قليلاً ؛ لأن الخطابة تستلزم انصراف الأديب إلى الجماعات يخطبها ، ويسهم برأيه فيما يهمها ، وعلى هذا وجدنا النديم الخطيب . . .

وقد أسهمت عدة عوامل في نجاح النديم خطيباً ، منها استعداده الذاتي للقاء الجماهير ، وشهوره بأنه واحد من أبناء الشعب احتمل أمانة الكلمة فيهم ، ورغبته في إنجاح ما أنيط به مما يحتاج إلى عطف الجماهير ، أو عونهم ومساعدتهم ، أو تقديرهم وتشجيعهم .

وظهرت هذه العوامل واضحة في أكثر من مجال ؛ منذ تولى أمر الجمعية الخيرية ومدرستها ، فأراد أن يبين للناس الأسس التي قامت عليها الجمعية والمدرسة ، ويجمع حولها وجهاء القوم وأدباءهم ، ويقاوم نزوات الحاقدين .

ومن أجل ذلك خطب ، ورتب موعداً للخطابة ليلة الجمعة من كل أسبوع ، ودرب تلاميذ المدرسة على الخطابة ، وأعد لهم الخطب أول الأمر ثم أفسح لهم ليقولوا ويخطبوا عن استعداد وارتجال (١) ، ويمضى به

(١) انظر التنكيث والتبكيث - عددى ١٧/٧/١٨٨١ و ١٨/٩/١٨٨١

الوقت فإذا هو داعية إلى جمع كلمة الأمة ونبد التعصب الديني (١)، وداعية إلى توسيع نشاط الجمعية الخيرية خارج الثغر السكندري (٢).

ويمضي به الوقت فإذا هو صاحب الزعامة الكلامية في الثورة العرابية، وبعد الثورة يحتفي ويستتر عن الطلب، ويتقصر أحياناً شخص رجل الدين الواعظ فينشئ خطباً دينية، على نمط سبق أن فكر فيه لارقي بالخطابة الدينية وتحقيق ثمرتها (٣).

والموضوعات التي خطب فيها النديم كثيرة ومتنوعة، ومن الخير أن نطلع على ما وقعنا عليه منها بترتيبها الزمني، ونحن مقتنعون بأن دائرة النديم الخطابية أوسع من أن نلم بها، وتكفيها هاتان الشهادتان فيه وفي خطابته:

الأولى من « الشيخ محمد عبده » يذكر فيها أن الأزهريين — وهم أولو الكلام واللسن — كانوا يرشحوه ليخطب فيهم، ويجمعون حوله ليستمعوا إليه، وينقادون له ولأفكاره، وكثيراً ماثاروا والتهبت مشاعرهم إثر حضورهم محافله الخطابية (٤)، والشهادة الأخرى تبرعت بها جريدة « مصر » ومجلة « التجارة »، فقالا عنه في أكثر من عدد: لقد انتزع النديم إعجاب الجماهير، وكان الناس يزدحمون عليه لسماعه، حتى اقترح

(١) انظر مجلة التجارة — عدد ١١/٨/١٩٧٩

(٢) انظر التنكيث والتبكيث — عدد ١٠/٧/١٨٨١

(٣) انظر التنكيث والتبكيث — عدد ٢٥/٩/١٨٨١ وسلافة النديم

٨٣/٢

(٤) انظر (تاريخ الأستاذ الإمام) للسيد محمد رشيد رضا ١/١٠٠٥

وفيه رد الشيخ محمد عبده على حديث للشيخ عبد الرحمن الشريفي أحد شيوخ الأزهر.

عليه أن يفرض رسم اشتراك على من يحضر محافله ؛ لأنه كان يشرح كل يوم جديداً من الأمر ، ويعالج في خطابه موضوعات الساعة ، ويستنهض الهمم للسعى والعمل (١) .

١ - خطب النديم في الحث على طلب العلم وتيسير سبيله ، وهو موضوع الصق بفكرة إنشاء المدرسة الخيرية ، فكان مما قال : (... أطلقت المعارف من قيد قوم على مظهرهم حذرين ، رأوا أن الفقراء لا يستحقون دخول روضة علمهم المكين ، فانطلقوا وهم يتخافتون ألا يدخلونها اليوم عليكم مسكين ، فيسر الله المعلمين والمرشدين والموقفين ، وأدركنا من المعارف ما أنسانا حالة الجاهلين ...) (٢) .

٢ - وخطب في الدعوة إلى طلب العلاج ومقاومة العلة ونشدان الصحة ؛ يقول من الخطبة السابقة في هذا الموضوع ، وهو موضوع الصق ببرنامج الجمعية الخيرية : (... وقد تبرع أحد المؤسسين بمعالجة الفقراء وغيرهم مع اختلاف المعتقدات ، فقد عم الله المنفعة إذ قال في دعاء شفاء الباليات : « يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس ؛ إن في ذلك لآيات ، فإن الطب من الأسرار المقوية للأبدان زمنا كبيرا ، وقد جعله الله حكمة يؤتاها من وجد إليها نصيراً ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، ...) .

٣ - وخطب في التكافل الاجتماعي ، فهو يبشر - في ذات الخطبة - المعوزين بانتهاء وقت العوز : (... جعلنا صندوقاً يجمع منا تبرعاً جميلاً ،

(١) انظر جريدة مصر - عدد ١٣/٦/١٨٧٩ ومجلة التجارة - عددى

١٨٧٩/٦/٩ و ١٨٧٩/٩/٢٩

(٢) هذا الموضوع والموضوعات التالية - استقيننا شواهدهما من

خطبته التي نشرتها كاملة جريدة مصر - عددى ٢٠ و ١٨٧٩/٦/٢٧

لا يستحق فيه كل متمول فقيراً ولا فتيلًا ؛ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا ، ...) .

٤ - وخطب يمجّد اليقظة والعصامية والسعى والعمل ، وينعَى الغفلة والإهمال ، ويعيب التفاخر بالآباء والرياش ... الخ .

وننقل من خطبته في افتتاح مدرسة دمنهور التابعة للجمعية الخيرية قوله (١) : (...) لنا أعين ولكن سترنا عنها العيان ، ولنا أصل ولسكنه في زوايا النسيان ، ولنا دار ولسكننا نهدمها بأيدينا ، ونعرف الصنعة ولكن تركناها لأعاديها ، وقد أوتينا مالا فصرفناه فيما يهلك الوطن ، واستودعنا الإنسانية فجعلناها خسارة البدن ، وقد استبدلنا تلك الخصال بذيوم الفعال ، إن دهمنا عدو أعناه علينا ، وإن خدعنا إنسان وهبناه مالدينا ، وإن تقدم منا واحد مقتناه ، وإن نبغ فينا شخص هجرناه ، نمشى تيهها على ذكر الآباء ، ونميل للغفلة وإن قبحت الأبناء ...) .

٥ - وخطب في ضرورة التربية والتعليم وبخاصة البنات وتربيتها ، وفي ذم الجهالة التي أفسدت مجتمعنا ، وبخاصة جهالة الأمهات ، التي تنعكس على البنين والبنات ، فيشب الجيل محملا بالعجز واليأس ، وهذه آفة الآفات ...

يقول النديم - من الخطبة السابقة - : (...) الجهل استعبدنا ، وطرّدنا عن التقدم وأبعدنا ، وأكثر فينا الآمال ، وأوقعنا في سوء الأعمال ، فصرنا أضحوكة بين الأنام ، ولعبة بيد الطغام ... وما ألزمني ترك التلويح ،

والميل إلى التصريح ، إلا خوفاً على الصغار ، من سوء أفعال الكبار ، فإن
الطباع جبلت على التقليد ، وطبعت على عدم التقييد . . . فناصر الأبناء
إلا جهل الأمهات ، وتربيتها الأذفال على الترهات ؛ فو ذاقت الأم لذة
المعرفة ، لشب رضيها على أحسن صفة ، ووقع مستعداً لتلك الحالات ، ونبغ
وهو في أحسن الحالات . . .) .

ويقول - من خطبة أخرى - (١) مدللاً على فساد الأمة بجهالة الأمهات ،
واندحار المجتمع بانحسار العلم عنهن : (فترى الأم تضرب ولدها بالمنديل ،
على إطفاء القنديل ، وتأمره باللعب مع الكلاب ، والنوم في التراب ، وترهبه
بالزنجيل ، وتخيفه بالمستحيل . فتراه يهرب من « البعج » ، ولا وجود له ، ويفحم
« بدده » ، ولا مجادة ، ويظن أن النفوس المطمئنة ، هي الممتعة « بننه » ،
وليست الفصاحة غير « أمه » ، ولا الأرزاق غير « ماله » ، يهرب من « بخ » ،
ويميز على « كخ » ، حتى إذا كبر وترعرع ، وطال وتزعزع ، خوفته بالكتاب ،
إن تضحك بالهباب . . .) .

٦ - وخطب النديم - مستوحياً النهوض بالوطن وسد وجوه خلله -
في جمع عنصري الأمة - المسلمين والأقباط - على كلمة سواء ، فجمع فريقاً
من الأقباط (٢) ، وتحدث إليهم - خطيباً - يشجعهم على تأسيس جمعية
خيرية قبطية ، وإنشاء مدرسة تتربها .

وفي خطبته أبان عن وجه اتحاد الهيئتين القبطية والإسلامية في المقصد
والمسلك ، ونفذ إلى قلوب الأقباط بعضات استمدها من الإنجيل ، ولقد نجح
في مسعاه ، وصارت الجمعية القبطية متنفساً لخطابته .

(١) نشرتها جريدة التجارة - أعداد ١٥ و ١٦ و ٢٠ و ٢٢ / ١٨٧٩/٩
(٢) انظر جريدة التجارة عدد ١ / ١٨٧٩/٨ والمذكرات السياسية ص ٥١

٧ - وخطب النديم بحث على اقتباس الحضارة ، وكأنه يعالج مشكلة الفراغ التي يعيشها الشعب ، فهو يدهم على وسائل الحضارة ، ويدفعهم إلى الثقة بأنفسهم ، فإنهم والآخريين مستوون في الأدمية ، ولا ينقصهم - أو لا يجب أن ينقصهم - العزم الواعي ، ومحاولة البحث والكشف والاختراع ، والتعاون . يقول (١) : (... شمس المتفنين في العلوم شمسنا ، ونحن الآدميون نفسنا ، نأكل مما يأكلون ، ونشرب مما يشربون ، وترجم عن القلوب بلسان ، والكل إنسان ، فبأى سبب ظهر الفرق ، بين الغرب والشرق ، أبطيّب الهواء ، وإتقان المطعم والدواء ، أم بوضع النفس في سجن الهوان ، وصرف العمر في خدمة إنسان ، ووضع النقد في الخبايا ، وترك الكتب في الزوايا . أما - والعدل - ماتقدم الغرب لإلهامة أعيان ، وسهر حفون وأعيان ، ونشركتب وعلوم ، وإحسان وضع ورسوم ، واتجاه فكر لمبتدع ، ومخاطرة في تجربة مخترع ، وتربية أطفال ، واجتماع واحتفال ، وتعاون أفراد كثيرة ، على مهمة خطيرة) .

وانتقل بعد هذا إلى الشركات التجارية ، فنبه إلى فوائدها . وأطال القول في منافعها ، ثم سمي من عوامل النهضة التعمق في العلم ولزوم البحث العلمي الرأقي ، فقال : (وإثاني [من عوامل النهضة] إلزام ذوى الأفكار الرائقة ، والألباب الفائقة ، ببحث علوم رياضية ، وأصول عقلية ، حتى يذوبوا ماتحجر ، ويحللوا ماتشجر ، ويركبوا الأضداد ، بعد تخليص موانع المواد ، فمنهم من يرى فلاحه ، في صنعة الفلاحة ، فيعلم أن من الواجب والفرض ، معرفة طبيعة الأرض ، وما يغذو الحبة الواهية ، حتى تصير شجرة متناهية ، وما يجيد الحصول ، مع اختلاف الفصول ، ومنهم من يرى النسيج أحب إليه ، فيجتهد في الحصول عليه ، ويترك اللوم والعذل ، ويجيد الحلج والغزل ... ومنهم

(١) من الخطبة التي نشرتها التجارة - أعداد ١٥، ١٦، ٢٠، ٢٢، ٢٣، ١٨٧٩/٩

من يميل إلى الكيمياء ، فيتجر في صناعة الدواء ، ويجعل السم من أدوية الأمراض ، بعد أن كان مهك الجواهر والأعراض ...).

٨ - وخطب النديم الخطابة الدينية ، وهاله أن الوعاظ يضيقون أفق الوعظ، ويقتصرون على الاتجاهات السلبية، بتخوين الناس الموت وأهوال الآخرة، وتحذيرهم من الدنيا وزخرفها، حتى موتت النفوس .

ومن رأيه أن الخطابة الدينية مجال فسيح لوقوف الأمة على حقوقها وواجباتها ، ولاطلاعها على الأحداث والسياسات في أرجاء العالم ، وأن الوعاظ الديني يجب أن يحيي النفوس ويحركها للعمل المشمر ، وأن يتجه بخطابته وجهة عصرية. ولهذا قدم بين يدي دعوته هذه خطبة جعلها نموذجا للخطابة الدينية التي يرضى عنها (١) .

٩ - وخطب النديم لثورة ، وجاءت خطابته لها دليلا على إخلاصه لها ، وقرينة على زعامته الكلامية لها، فما هو إلا أن يقتنع بها حتى يندمج فيها ويأخذ في الدعوة لها، ويتنقل من أجلها (٢) بين الاسكندرية والقاهرة والريف ، وبين قصر النيل والجامع الأزهر ، وبين الجماهير في المدن والقرى والجنود في ميدان الحرب ، يثير الناس في كل مكان ويهيج مشاعرهم، وكلما اشتد الأمر على الثورة اشتد النديم في خطابته . ولم يترك حادثا إلا استغله لصالح الثورة .

ويقول النديم عن ذلك (٣) ﴿ أخذت أتقلب في البلاد ، وجاهرت بالتضاد ، ولبست ثوب الجلد ، وتابعت الخطب في كل بلد ، وحركت

(١) انظر مقالته (ألسن الخطباء تحي وتميت) في التنكيمات والتبكيمات -

عدد ١٨٨١/٩/٢٥ .

(٢) التاريخ السرى لاحتلال إنجلترا لمصر ص ٢٤ وما بعدها .

(٣) المذكرات السياسية ص ٥٥ وما بعدها .

الأفكار حركة لاسكون لها ، ونشرت مظالم الحكام وأعمالها ، وناديت
بهدم دعاة الاستبداد ...) .

ومن الطبيعي أن تأتي خطابته الثورية متهمة، وأن يستقبلها الشعب الناثر
بارتياح، لأنها تأتي تعبيراً مناسباً عن غضبه، وتنديساً عن أطواء الصدور .

ويحار القلم في انتقاء واحدة من الخطب - أو سطور منها - لأنها تسجل
مراحل الثورة .

يقول النديم في إحدى خطبه (١) : (... أعربت الجيوش عن
ضمايرنا ، وترجمت الحمية عبارتنا ، ونادى الجند المظفر المنصور بحقوق الأمة
بين يدي أميرنا الجليل ، فأنعم وفضل ، ومن وتكرم ، وأعنت من الرق
وحرر ، فاستأثر النفوس بإنعامه ، وتملك القلوب بإكرامه ، فنحن الآن
ننادى بألسنتنا بصوت يسمعه القاصي والداني : يموت الاستبداد وتعيش
الحرية - يعدم المستبد ويحيا توفيق الأول - يهلك الجبان ويبقى جيش الخمية .
وقد كفناكم من الفخر أنكم ملكتم زمام الحرية مع حفظ الأرواح
والأعراض ، بعد أن علمتم أن فرنسا أهلكت في حرب «الباستيل» عشرات
الألوف من الأرواح ، وأضاعت مئات الألوف من الأموال ، والتاريخ
يشهد أن كثيرا من الجند تظاهر على مليكة . فمنهم من خلع ومنهم من قتل ...)

وفي هذه الخطبة ركز النديم على الأسمى لما حل بالوطن قبل قيام العرايين
بحركتهم ، فجعل يلخص الحرية المطالبة ، ويدعو لوحدة الصف ، ويغري
الخدوي بمناصرة قضية الحرية والاستقلال ، ويلوح له بالثورة الفرنسية
وبالثورات الأخر التي كان من نتائجها خلع الملوك والقضاء عليهم .

(١) كتاب السكافي في تاريخ مصر القديمة والحديث لميخائيل شاروبيم

ومن الواضح أن هذا الهدوء تغلى تحته مراحل الغضب. ومضت الثورة في طريقها ، حتى التهمت المشاعر الوطنية - وللتديم دور وفضل في إلهابها - وبات متوقعا أن يشتبك السلاح ، فانطلق النديم مصمما على مطلب الثورة مستهينا بعواقب الأمور، حتى إنه اصطنع التهريج. مثلما قال في إحدى خطبه :

(إن علوانى الاسكندرية إذا أطلقت مدافعها يبلغ مرماها جزيرة قبرص من هذا الجانب ، ومدافع الآستانة إذا أطلقت تبلغ هذه الجزيرة من الجانب الآخر، فكيفما جالت الأساطيل الإنكليزية فبى تحت رحمة مدافعنا ...) .

وكان هذا التهريج سلاحا ذا حدين (١) فمن ناحية يقوى الروح المعنوى فى الشعب وفى الجند ، ومن ناحية يملأ رموس القادة العسكريين غرورا ويقعدهم عن التهيؤ للعارك الطاحنة . وهذا هو ما حدث .

١٠ - وخطب النديم فى الأحفال التى شهدتها مصر فى أوائل عام ١٨٨٢ للإشادة بالدستور الذى كان المجلس النيابى فى ذلك وقت قد أقره، وإلطاء الساعين لإقراره (٢) فأخذ النديم يبصر الشعب بواجباته وحقوقه وبالتواحي العمالية فى الحياة السياسية الجديدة ، لكنه لم يكن فى هذا وحده ، فقد شارك كثير من ذوى رأى ، نذكر منهم الشيخ محمد عبده . وإبراهيم اللقانى ، ومصطفى ماهر ، وأديب إسحاق ، وفتح الله صبرى ، وكانت (الوقائع المصرية) - وهى الجريدة الرسمية - تنشر كلماتهم تامة أو مختصرة (٣) .

(١) أدب المقالة الصحفية فى مصر للدكتور عبداللطيف حمزة ١٢٣/٢

(٢) مذكراتى فى نصف قرن لأحمد شفيق ١٣١/١

(٣) انظر (الوقائع المصرية) عدد ١٨٨٢/٢/١٥ وكتاب (مصر للمصريين)

وبعد :

فهذه خطابة النديم ، أمكنه بها تكوين رأى عام ، يتطلع إلى الإصلاح الاجتماعى والإصلاح السياسى .

وقد تطور موضوع خطابته - على ما عرفت - من شؤون التربية والتعليم ، إلى شؤون النهضة والحضارة ، إلى شؤون الحرية والحياة الكريمة ، ومع هذا التطور الموضوعى تطور أسلوب النديم الخطابى من أسلوب الصنعة الملتزم السجع الحريص على الزينة اللفظية ، إلى الأسلوب المرسل ، لسبيين : أولها مجارة أسلوبه الأدبى العام ، والآخر أن المجتمع الذى كان يخطبه النديم بآدىء الأمر كان مجتمعا صغيرا وخاصة إلى حد ما ، فلما كانت الثورة خطب النديم الألوف من أبناء الشعب ، وهم أنماط مختلفة متعددة الميول والثقافات ، ويمكن أن نضيف لهذين السبيين سببا ثالثا ، ذلك أن النديم كان لديه متسع من الوقت لإعداد خطبه ، فلما انفتح على الجماهير العريضة واشتد الإلحاح عليه ليتكلم - حتى كان يستدعى بالبرق من أنحاء البلاد (١) - ضاق عليه وقت الإعداد والتجبير .

وعلى كل : برزت مقدرة النديم الخطابية فى كل خطبه ، وفتن الناس به ، حتى أصحاب اللسن من الأزهرين - كما أحتنا من قليل - وذهب هو يخطب فى كل مكان (٢) بما يوافق ميول أهله ، ويقص عليهم حديث أجدادهم وأخبارهم ، وما ألم بهم من العسف والجور ، وهو يذرف الدمع على مجددم المضيع ، وكرامتهم المهيرة .

وقد مر بنا أنه استغل نصوص الإنجيل فى دعوة القبط إلى إنشاء جمعيتهم

(١) أحمد ميمير فى سلافة النديم ١٤/١

(٢) الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ٤/٢٣٦

الخيرية ، وأغرى الخديوى بمناصرة قضية الحرية ، ملوحاً له بما مضى من الثورات . وعندما تقرأ مقدمات خطبة تقتنع بأنه كان ينجح في جذب من يخطبهم إلى صفه ويؤهلهم لقبول ما يقوله لهم . وفي أثناء خطبه ربما أيقظهم بالهتاف ورفع عقيرته بالشعارات ، فإلهب وجدانهم ، فيزدادون تعلقاً بكلماته ، ورغبة في متابعتها حتى النهاية وبعد النهاية .

وفي كثير من أحوال الخطابة تصدى النديم لتقديم الخطاب (١) . والذي يتولى هذا العمل يبذل جهداً كبيراً لا يقل عن جهد الخطابة ، وربما زاد عليه وامتاز ؛ لأن مقدم الخطاب - وهو أمر بلوناه - يهيئ الأذهان إلى جديد ما تسمع ، ثم يثبت فيها ما عرض عليها ، ولعلها عرضت مجملة فهو يفصلها ، أو غامضة فهو يوضحها ، أو سطحية فهو يعمقها ، أو ملتوية فهو يصححها ، أو ناقصة فهو يكملها . والنديم تدير على هذا كله .

النديم . كاتب مقال

أتيحت للمقال - في أواخر القرن التاسع عشر - فرص ممتازة لنقد المجتمع وإصلاحه ، واحتضنته الصحافة حتى (١) رأينا العدد الواحد من أى من الصحف في ذلك الوقت يكاد يملؤه مقال واحد .

والنديم - كأديب اجتماعى - شغلته شؤون المجتمع ، فكان طبيعياً أن ينشئ مقالاته حول هذه الشؤون ، ويدير كتاباته حول مسائلها ، ويسلط عليها ضوء آرائه ، وينفذ إليها من وجهات نظره .

بل لقد كان يكتب في الأمر الواحد أكثر من مقال ، وكأنه يلح على رآيه ، ليستوى ناضجا ، وليجد من قارئه القناعة والاعتناع .

وتحمل مقالات النديم كثيراً من الافكار ، وتجول في كثير من الشؤون . وهى - وحدها - مادة خصبة للباحث ، ولكن ما ألزمتنا به قلنا - في هذا الكتاب - يقتضينا الاختصار والإيجاز والاكتفاء ، فنعرض أهم ما شغل به النديم في مقالاته :

١ - شغل النديم بمسائل الترييق والتعليم ، ونظر طويلا في طريقة التعليم ، ورأى أخيراً أنه (٢) لا بد لنا - معاصر الشرقيين - من مجارة الأمم المتقدمة ؛ للخروج من مضيق التوحش المنسوب إلينا ، مادمننا على تعاليم أسلافنا ، ولا نصل إلى هذا المقصد إلا بالوسائل التى اتخذتها أوروبا ، وكلها محصورة في طارق التعليم ، وهى أنهم خلطوا التعليم الدينى بالتعليم المدرسى ، وصيروهما طريقة واحدة .

(١) أدب المقالة الصحفية فى مصر ٢٢٩/٢

(٢) مقاله (تربية الابناء) - الاستاذ - عدد ١٨/١٠/١٨٩٢

والمتبع حركة الفكر في هذه الحقبة يرى أن مثل هذه الدعوة كانت
حلية العصر في البلاد الأوروبية، فإذا جاء النديم يدعو لها فلو قوعه - كخير -
تحت وهم أن كل ما يأخذ به الغرب إنما هو محط الحضارة ومناط التقدم .
وإذا أحسنا الظن بالرجل قلنا : إن قوة إحساسه الديني هي التي عطفته على
مثل هذه الدعوة ؛ بغية التمكين للثقافة الدينية .

٢ - وشغل النديم بإصلاح الأزهر ونظمه التعليمية . وفي مقالين
طويلين (١) : أفاض في دور العلماء وجهودهم في المشرق والمغرب ، ومركز
الأزهر في العالم الإسلامي ، وعاب طريقة التعليم القائمة في عهده ، وقدم عدة
مقترحات لإصلاحه ، منها : إنشاء مدارس تؤهل للحاق به ، ويجعله مدرسة
عليا ، وتفصيل مناهجه ، ودراسة العلوم الرياضية والجغرافية والتاريخية ،
والاهتمام بالدروس التطبيقية ، وتنظيم التفيش عن أعمال المشايخ والطلاب ،
ومنح الاجازات الدراسية ، وتنظيم الامتحان كل عام ، والأخذ بمبدأ
التخصص . . . الخ .

ودعا النديم إلى إنشاء فروع للأزهر في حواضر الأقاليم ؛ (توسيعا
لذاترة العلم ، ونشرأ المعارف في البلاد) .

٣ - وشغل النديم بتطبيق الدراسة العملية على النظريات ، وفي مقال
له عن (الزراعة في مصر) (٢) دعا إلى تدريب التلامذة على دراسة التربة المصرية
علياً وعملاً ، وأن يقوموا بإرشاد الفلاحين إلى وسائل الإصلاح ، ومقاومة
الآفات . . . قال : (وهناك طريقة لزيادة معرفة التلامذة وتقديمهم ، نعرضها

(١) العلماء والتعليم في الأستاذ - عدد ١٤ / ٢ / ١٨٩٣ . ووظائف العلماء

في العالم - في الأستاذ - عدد ٢٥ / ١٠ / ١٨٩٢ و ٨ / ١١ / ١٨٩٢ .

(٢) الأستاذ - عدد ٢١ / ٢ / ١٨٩٣ .

على رجال المعارف ؛ لعلها تقع مرقع القبول ، وهي تعيين اثنين من التلامذة لكل مديرتين أو أكثر ؛ ليطوفا البلاد ، وينظروا الغيطان ، وما فيها من الاختلاف والتباين في الزرع والتربة . . . (إلخ) .

وليس من شك في أن لهذه الدعوة وجاهاها - إلى اليوم وبعده اليوم - فإن التطبيق على النظريات ضرورة من ضرورات النجاح العلمى .

٤ - وشغل النديم بواقع الحياة المصرية ، وأهم ما شغله من هذا الواقع واقع الفلاح المصرى ، وقد وجد النديم مهينا ذليلا في وطنه ، مضىعة حقوقه ، فكاتب عنه يعرف بفضل ، ويعيب احتقاره ، ويدل على وسائل النهوض به . . . ومن هذا قوله يخاطب المصرى الذى تمدن يعرفه بهذا الفلاح (١) : « هو النور الذى اهديت به حفظ صحتك من ظلمات الجوع ودياجير العرى ، ولكنه نزل عنك وهو حارسك ، وقبل يديك وهو صاحب الفضل عليك ، وأنت لا تنظره إلا بعين المقت ، ولا تعامله إلا بيد الإهانة ولسان السب ، مستقبحا صحبة صورة عنونت بفلاح . » ثم يكشف عن سبب هو انه على بنى وطنه : « ومارماه في هذه الوهدة القبيحة ووسط عليه خدمته المتمدنين وتبعته الأمراء - إلا الجهل القبيح . » ثم دعا إلى إنصافه وتعليمه ، لأن فى إنصافه زيادة الثروة القومية وزيادة السطوة الوطنية ، وفى تعليمه توسيعاً لدائرة العمران ، وهو مما تتفاخر به الأمم - يقول النديم - والخطاب لهذا المصرى الذى تمدن : « ولو أنصفت لرحمته ، ومسحت طينه بثوبك الأطلس ، ونقضت سباخه بمندليك الحرير ، حتى ترضيه ، فيرضى عنك ، ويخدم الأرض بما ينبت فيها غذاء جسمك اللطيف وكسوته . . . ولو كنت عاقلا لعلمت من العلوم ما يهتدى به فى ظلمات الجهالة ، وتركنه يخرج لك من الأرض ما لم يكن

(١) مقاله (لا أنت أنت ولا المشيل مشيل) - التنكيت والتبسكيت -

يعلمه من قبل ، ويوسع في دائرة العمار ما لاتصل إليه أفكارك .

٥ - ويرى النديم من قومه منصرفاً عن المصنوعات الوطنية وتمالكها على المصنوعات الأجنبية ، فيخز بنى وطنه من أجل ذلك ، وينبهم إلى غفلتهم ، وإلى قبيح مساسكهم . . . يقول (١) . . . فيا بنى الأودان - بل يا أعداءها - أما أن لكم أن تفيقوا من هذه السكره ، التي حولت ثروتكم إلى الغريب ، وألبست تجارتكم ثياب الفقر والذلة ، أما أن لكم أن تراجعوا أحوال الأمم وتواريخها ؛ لتعلموا بماذا تقدمت وبماذا تأخرت .

٦ - ويقف النديم على عقدة الغرب لدى الشرقيين ، وما وفر في نفوسهم أن الغرب هو السيد وأن المدنية وقف عليه . . . وفي مقال طويل - جعل عنوانه (بجم تقدموا وتأخرنا والخلق واحد ؟) (٢) - يحلل عوامل تقدم الغرب وتأخر الشرق ، ورد ما يقال من أن طبيعة الجور قضت على الشرقيين بالكسل والتعود وقضت للغربيين بالعمل وعلو الهمة - رد على هذا بأن أعاد إلى الأذهان ما كان للشرق من مدنية استمدتها أوربة وأقامت عليها حضارتها الحاضرة ، ثم رد ما يقال من أن الدين الإسلامي هو المانع من التقدم - فقرر أن (الشرق يمتلئ بأديان تغاير الدين الإسلامي ، والآخنون بها أضعاف الآخذين بالإسلام ، ومع ذلك فإن تفهيمهم في المدنية والقوى العلمية أكثر من المسلمين . . . فلو كان الإسلام مانعاً لرأينا الهند والصين في تقدم أوربا ، وحالهم شاهدة بأنهم أحط من المسلمين بدرجات) . وبعد هذا لخص النديم الأسباب التي يراها عوامل التقدم في الغرب ولم يأخذ بها الشرقيون فتأخروا ، وهذه الأسباب أربعة أصول وستة فروع :

فالأصول الأربعة : توحيد اللغة ، وتوحيد السلطة ، وتوحيد الديانة ، وتوحيد السياسة .

(١) مقاله (التجارة البائرة) التنكيت والتبكيث - عدد ٢١ / ٨ / ١٨٨١ .

(٢) الأستاذ - عدد ٢٩ / ١١ / ١٨٨٢ .

والأسباب الفروع : إطلاق حرية القوال ، واستثمار الشركات التجارية والصناعية ، وتقدير ذوى الكفاية وتشجيعهم ، وتعميم التعليم وتنظيمه وجعله إجباريا ، وتقرير النظام الشورى فيما يسمى بالمجالس النيابية والوزارية ، والسماح بتكوين الأحزاب السياسية والهيئات الأدبية والعلمية .

ويقينا لقد كتب النديم هذا المقال فى لحظات الصفاء الذهنى ، وقارنه بحس أن الرجل آلى على نفسه أن ينش مواطن الضعف فى نفوس بنى وطنه ، وأن يقنعهم بأنهم أنداد للغربيين ، وأنهم أكفاء للمدينة والتقدم ، ويكفى هذا المقال إطراء أنه أسهم فى القضاء على عقدة الغرب لدى الشرقيين .

٧ - وعلى طريق الوعى الناضج لمسارب الحياة يضع النديم دستوراً لاقتباس العادات الوافدة ، هذا نصه (١) :

(ينبغي لمن يغير عاداته بعادة الغير أن ينظر فى أصل عاداته وفوائدها ومضارها ، ثم عادة الغير كذلك ؛ فإن رأى حسن عاداته وأنها من لوازم حفظ المظهر أو الثروة أو الوطنية أو الجنسية أو اللغة أو الدين .. لزمه البقاء عليها وإن لم تحسن فى عين الخليل ، وإن رآها مضرّة بذاته أو وطنه أو الهيئة الاجتماعية - غير منها مالا يفقده الاعتقاد الدينى والشعور الجنبى والغيرة الوطنية) .

وفى هذا الدستور حفاظ على المقومات الاجتماعية الأصيلة للأمة من مظهر وثروة ووطنية وجنسية ولغة ودين ، وإن التفريط فى أى من هذه المقومات - مسaire للعادات الوافدة - مدعاة إلى فقدان الشخصية المتكاملة للأمة ، أو إلى اضطرابها ؛ ولا يلىق بالعاقل أن يسعى فيما يضر أمته ويصير بها إلى فقدان الشخصية .

٨ - ومن منطلق الرغبة فى سلامة المجتمع فكربا انعطف النديم على

بعض المظاهر الدينية يبنى إصلاحه ، وذلك فيما كتبه عن الطرق الصوفية وما فيها من البدع ، ووجوب ردها إلى حظيرة الدين الصحيح ، وتنقيتها من الشوائب والضلال ، وفي أحد مقالاته يقول (١) : (لاتزال هذه الطوائف تبتدع أموراً تضحك السفهاء ، وتسكى العقلاء ، وتختال لمطامعها البهيمية بما جلب العار على الأمة ، وسلط علينا الأجنبي يهزأ بديننا ، ويقبح أعمالنا ؛ ظناً منه أن ما يجريه هؤلاء الجهلة من الدين) وبعد أن وصف ما يأتونه من الجهالات ، وما يستعملونه من المراقص والمزامير ، دعا إلى سيرة السلف الصالح (حيث كانت الطرق محل اعتبار وجلال ، ومرجع هدى ورشاد ، وانتفع بها المسلمون انتفاعهم بالأخذ عن العلماء) ثم يضع قلبه على الداء الذي أضلهم وأضرأ به الناس وهو الجهل (وغالب المساكين جهلة ، لا يعرفون العقيدة الإسلامية إلا سماعاً وتقليداً) .

وفي مقال آخر (٢) أوضح النديم معالم الطريق ، ، وانتهى بما نقله عن أئمة المتصوفة إلى أنه (التمسك بالكتاب والسنة وإجماع أئمة الدين ، فإن طرأ علينا أمر عرضناه على الكتاب ، ثم على السنة ، ثم على الإجماع ، ثم على القياس ، فإن لم نجد في واحد من هذه الأصول فهو باطل) ، وعرض النديم على هذه الأصول كثيراً من البدع المنتشرة فلم يستقم ميزانها .

والذي يطالع هذين المقالين يدرك أن النديم تعمق كثيراً من أصول الدين ، وكان بارعاً في تفريع المسائل حول الحقيقة الواحدة ، وفي بيان الرأي فيها ، حتى يلم بأقطارها ، فلا يدع شبهة ترد عليه ، وهذه طريقة علمية ألفها علماء الكلام ، وألفناها منهم .

٩ - ومن منطلق الرغبة في سلامة المجتمع أخلاقياً ذلل النديم مقاله للإصلاح الخلق ، فتارة يسوق رأيه مساق العظة ، وينفق من وجدان من

(١) مقاله (الطرق وما فيها من البدع) - الأستاذ - عدد ١١ / ٤ / ١٨٩٣

(٢) الطرق وإصلاحها - الأستاذ - عدد ٢٥ / ٤ / ١٨٩٣ .

نسبوه إلى الوعظ ، كما في مقاله (معاملة الوالدين) ومقاله (معاملة الإخوة والأخوات) (١) ، فلا تتميز شخصية النديم الأدبية إلا بمقدار ما يحسن النقل والاحتذاء .

وتارة ينفق النديم من وجدانه هو ، فتتضح لنا شخصيته الأدبية ، وفي مقال له عنوانه (تسمية البهيم بالمتوحش ظلم من الإنسان) (٢) يوازن بين توحش الإنسان وتوحش البهيم ، ويبين أن هذا البهيم ليس كالإنسان ظامعاً ومتعصباً وراعياً في فرض سلطانه على سواه ، وبعد أن يذم هذا السلوك من الإنسان في عصر يزعم الإنسان أنه عصر المدنية — يتجه إليه قائلاً : (أيها السكمان في جلد الإنسانية . . . ما أحسن أصلك وأجمل شكلك وأعز نفسك وأعز عقلك وأوفر عقلك : - فيأيها الحسن الأصل ما أقبحك عند الفخر الخارج عن حدك ، والمباهاة بالامتحن نظمته أو عمله ، والكبر المبني على تحريك افساد أنك الفريد في الوجود ويا أيها الجميل الشكل ما أفظك عند المقاتلة ، وأصعبك عند التهور ، وأشدك قسوة عندما تحمل على أخيك وتسلبه حقوقه ، أو تقتله ، لغرض من أغراضك . ويا أيها العزيز النفس ما أبعدك عن الحق عندما ترفع نفسك على أخيك ، وتنظر إليه نظر المحتقر ، وتضع من قدره ما عرفه له تساويه معك وأوجه اتفاقكما الخلق . ويا أيها العزيز العلم . . . ما أصغر قدرك عندما تنظر الغير بعين الجهالة وأنت قادر على تعليمه ، وترميه بفساد الأخلاق وأنت متمكن من تهذيبه ، وما مقامك في الوجود إلا لإصلاح ما فسد من الجاهل الذي كنت مثله قبل علمك . . . ويا أيها الوافر العقل ما أجنك عندما تقابل المسيء بإساءته ، وتخابب ضعيف العقل بما لا يحتمله فكره ، ظننا منك أنه في قوتك وتمسكتك . . . ويا أيها الموصوف بالسكال ما انفصك عندما تمشي في الأسواق مختللاً متكبراً ، كأنك

(١) سلافة النديم ٢ / ١٤ و ٢٢ .

(٢) التنكيث والتبكيث - عدد ٢٦ / ٦ / ١٨٨١ .

مار بين الهمم والحشرات ، ولو نظرت عن اليمين وعن الشمال لرأيت ما يخطبك من أمثالك المتحلين بحمية السكال ، السارين في سكية ووقار وخشوع . ويأبها الفرح بما ملكت يداها ما أحزنك أو تأملت المضطر يتضور جوعاً ، والبائس ينتفض برداً ، والغريب لا مأوى له يستكن فيه ، واليتيم لا قيم له يرشده ويعلمه ، والمريض المعدم لامال له يطب به نفسه ، ولا متاع يبيعه لينفقه في حفظ حياته . أف لك ولمالك ، قل أو أكثر ، فإنك تحجر على الإنسان قوته ومسكنه وملبسه بما تصنعه من اكتناز المال .

فهذه الدفقة الوجدانية يخاطب بها النديم أولئك الذين كمنوا في جلد الإنسانية ولم يتحلوا بأخلاقها ، فأحلوا أنفسهم وقومهم دار البوار ، لأنهم كفروا نعمة الوجود ، وغابت عنهم حكمة الحياة ، فضيعوا الحقوق ، ونقصوا على قومهم معيشتهم ، حتى فاقوا البهيم توحشاً ، ونسبوا البهيم إلى التوحش ظلماً .

١٠ - وشغلت الحقوق السياسية قلم النديم في وقت مبكر . وقد وجدناه (١) يكتب في الحرية ، ويعرفها بأنها (وقوف الإنسان عند حده ، ومعرفة حقاً لنفسه يطالب به ، وواجباً لغيره يؤديه) ، ويشير إلى ضرورة قانون عادل (يشترك فيه سكان المعمورة من غير نقض ولا تأويل) ويقدم ما نصلح على تسميته « وسائل الحرية » ، في قوله : (وهذه الحرية لا ينالها إلا أمة تهذبت ، وترتبت على محاسن الأخلاق ، وعرفت معنى الإنسانية ، وحق المدنية ، وقدر الوطنية ، وواجب الانتظام) .

وفي أخريات أيامه في مصر أخذ يبصر المصريين بحقهم في الاجتماع ، ويشير عليهم بتأسيس أحزاب كأحزاب أوربة ، يجعلونها وسيلة إلى (حياة

(١) مقاله (حر الكلام كلام الحر) - التنسكيت والتبكيك - عدد

الأمة، وصيانتها، وحفظ الوطن، وامتداد سطوة الدولة، ونفوذها (١) وأخذ يكتب في معنى الرأي العام، وفائدته، وطريقة تكوينه، ودور الأندية السياسية والرياضية والثقافية فيه. (٢).

١١ - وأتاحت الثورة العراقية أن يكتب النديم المقالات الضافية عنها وعن زعيمها أحمد عرابي، فقدمه للناس، وبسط القول في حركته، وقرر أنها انتفاضة شعبية، تبغى الخير لمصر وللصيريين (٣). ومن بعد وقف جريدته (الطائف) على الحركة العراقية، يؤرخ لها، ويدعو إليها، ويمدح مسلك قادتها، وينفخ في أضرارها، ويهون من شأن خصومها وعدائها.

ولقد يكفى النديم أن يعيش في واقع هذه الحركة، إلا أنه بحسه الثوري والأدبي جاوزها إلى المناداة بالحرية والائخاء والمساواة ونشدان العدالة والسيادة، فقدم وثيقة ثورية، لانبجذ غضاظة في عداها - من الوجهة السياسية - وثيقة عالمية، وفي اعتبارها - من الوجهة الأدبية - عملا خلاقا جديرا بالتثويه.

قال النديم فيما أسماه (وصية وطنية) (٤):

(أى بنى مصر. ما أصدق الأحلام عند أهل السرائر الطاهرة، وما أحسن التعبير عنها من الخبير بها. وقد كنا في نومة خيم الظلم فيها على قلوبنا وعلى أسماعنا، وألبس الاستبداد بصائرنا غشاوة لا نبصر معها حقيقة ولا نعرف حقا، وكانت أرواحنا في كهف الخوف تسرح في ظلمة لا نور فيها، وتجول

(١) مقاله (أشتات الشرق وعصبيات أوربا) - الأستاذ - عدد

١٨٩٣/١/٣

(٢) مقاله (طريق الوصول إلى الرأي العام) الأستاذ - عدده ١/١١/١٨٩٣

(٣) التمسكيت والتبكيك - عددي ١٠/٢٣ و ١٠/٢٣

(٤) المذكرات السياسية ص ١١٥ وما بعدها.

في مضيق لا باب له ، فكان يحدث عننا من يمر بنا حديثه عن الأموات ،
ويقول لسائله : هم العمد المتحركة بإرادة مالكها ، تراهم ينطقون ولكن
بلسان العبودية ، ويمشون ولكن في طريق الاستبداد ، ويخضعون ولكن
لسيف الاذلال ، تظنهم أحراراً وهم عبيد ، وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ،
يجتمع اللئيم منهم بالإشارة ، ويتفرق الجيش بالإيماء ، إن طلبوا حقا
ظلموا ، وإن دافعوا عن مال أبعدوا ، وإن اشتكوا حاكماً سجنوا ،
يكسبون الكثير من النقد وهم فقراء ، ويصنعون الثياب وهم عراة حفاة ،
لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا حياة ولا نشوراً .

ومن كان في سوق العبيد مقامه

تملكه - بالبيع - من يهب النقاد

وبينما هم تحت ردم الاستبداد ، نائمين على فراش الظلم ، ملتحفين الحسف -
دارت أرواحهم في الوجود ، فرأت شمس العدالة مشرقة على كثير من
الناس ، وبدور الحرية تضيء سماء وجودهم ، والسكل متمتع بحقوقه ، حافظ
لشرفه ، لا يعرف الذل ، ولا يرضى الإهانة ، ولا يخضع لظالم ، ولا يمكن
غريباً من أرضه ، ولا يضيع شيئاً من واجباته ، وقد عمتهم النعم ، وشملهم
العلم ، وحفت بهم الحاسن من سائر الأنحاء ، إن أنصفوا خضعوا ، وإن
ظلموا ثاروا ، وإن حوكموا عرفوا القوانين ، وإن اجتمعوا تناكروا في
أمرهم ، وإن احتفلوا خطبوا بسياسة الأمر ، وحقوق البلاد ، وإن
كتبوا أعرابوا عن ضمائرهم ومستكنات الصدور . عرفهم الحق بواجباتهم
حافظوا عليها ، ولأنهم العدل حقوقهم فتمتعوا بها ، وهدتهم الحرية للمدينة
فأحسنوا نظامها ، وقادهم الإخاء إلى التساوى فوقف كل عند حده ، وعامل
أخاه بما يقتضيه مقامه ، فلا يهاب شريف ، ولا يمتنن عظيم ، ولا يحقر فقير ،
ولا يعش أجير ، ولا ينزل خادم ، ولا يشتم تابع ، فقد حنكهم الآداب ،

وهذبتهم العدالة ، وتدرّبوا - بإطلاق حرية الأفكار - على الأعمال السياسية ، والأشغال التجارية ، والنظامات الإدارية ، فأصبح الجميع في جنة قطفها دانية لكل متناول .

ومن سار في أرض الإخاء رأيت

يحد بنور العدل في طلب المجد

هكذا تحدث النديم عن حاضر المصريين في القرن الماضي ، وأوضح ما كانوا فيه من مذلة ومهانة ، وأنهم ألفوا السلبية ، واستسلموا للقنوط ، وحرّموا أنفسهم من خيرات بلادهم ، ثم دهم على أناس يعيشون على ظهر هذه البسيطة ، يمارسون الحرية والكرامة والعدالة ، ويعرفون الحقوق والواجبات ، ويتمتعون بنعمة المدنية في شتى مناحيها ، في السياسة والإدارة والتجارة والتعليم والقانون والسلوك .

وهكذا مضى النديم في سائر الوصية - أو الوثيقة - فكرر تصوير أراقع الأليم ، واطلع من جديد على مظاهر الرقي في البلاد الأوربية ، وركز - بخاصة - على المجالس النيابية التي قيدت الحكام وغلت أيديهم عن الجور والعسف . ثم عاد النديم مرة ثالثة يتحسس واقع الاستكانة والاستئمان والاسترخاء والتواكل ، ويوحى إلى أبناء وطنه بأن الحرية قد عمّت المعمورة وامتدت إلى أطراف المسكونة ، ويلقى إليهم بمثل حى من فرنسا التي ثارت ثورتها المشهورة ، فخطمت «الباستيل» رمز العبودية ، وسارت في طريق مبدؤه (الإخاء) وغايته (المساواة) وفي وسطه نهر (الحرية) يروى منه كل ظامئ إليها .

هذه الوصية - أو الوثيقة - تقدمها للشعوب المغلوبة على أمرها ؛ لتعيها وتحفظها ، وتنصّبها نبراسا في طريق الحرية المنشودة . وتقدمها للشعوب التي نعمت بالحرية والحياة الكريمة لتعيها وتحفظها ، وتجعلها عاصما لها من التقهقر والتفريط في الحقوق .

١٢ - وفي أيام النديم بدأ نقول في الجامعة الوطنية، ولم تكن تتميز بما نفهمه نحن اليوم من الجامعة المحدودة بحدود الوطن الواحد، وإنما شملت الجامعة الشرقية (أو العثمانية) والجامعة العربية (أو مانسيميا اليوم القومية) والجامعة المصرية (أو مانسيميا اليوم الجامعة الوطنية).

وكانت الجامعة الشرقية شعورا عاما لدى المسلمين بالظلم، وشكايات متكررة من وقعه، ورغبة عادة في الهوض بالأمم المسلمة، واقتناعا بأن الخير في الالتفاف حول الخليفة العثماني (١).

وكانت الجامعة العربية شعورا عاما بالتعاضف القومي، والرغبة في اجتماع كلمة العرب لمواجهة المستعمر الطامع ومقاومة النفوذ التركي الذي بدأ يتميز بقوميته الخاصة، وقد أحست مصر بهذه الجامعة إحساسا هامشيا، لأنها كانت مشغولة بشئونها الخاصة عن أن تمد يدها إلى أخواتها العربيات.

وكانت الجامعة المصرية (٢) شعورا عاما بالوطنية الإقليمية القائمة على الجنس لا على الدين، وقد ظهرت أولا في الثورة العراقية حين أحس المصريون والقائمون بالثورة بمصيريتهم وأنهم جنس منفصل عن الترك والجركس المتسلطين عليهم، وإن تكن هذه الجامعة المصرية غير منفصلة تماما عن الجامعة الشرقية.

تناول قلم النديم الجامعة الوطنية بشعبها الثلاث وهذه المفهومات التي عرضناها.

فمن الجامعة الشرقية: يبدى غيرة على مقدراتها، ويدافع عن وحدة الكلية، ويرى في ائتلاف الشرقيين سندا وقوة. ويفند ما يتهمنا الغرب

(١) الصحافة والأدب في مصر للدكتور عبد اللطيف حمزة - ص ٣٣

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر للدكتور محمد محمد حسين / ٥٠

بهمن الهمجية والتوحش بسبب بقائنا على عاداتنا الشرقية ، وفي مقال له عن روانه (لو كنتم مثلنا لفعلتم ما فعلنا) (١) يختمه ختاماً قويا في الدعوة لهذه الجامعة إذ يقول :

(وبالجملة ، فإن آخر الدواء الحكي ، وقد بلغ السيل الزوى . فإن رفأنا الحرق وشددنا أزر بعضنا (كذا) ، وجمعنا الكلمة الشرقية - مصرية ، وشامية ، وعربية ، وتركية - أمكننا أن نقول لأوروبا : نحن نحن وأتم أتم ، وإن بقينا على هذا التضاد والتخاذل والنياذ بالأجانب فريقا بعد فريق حق لأوروبا أن تطردنا من بلادنا إلى رموس الجبال لنلحقنا بالبهيم الوحشى ، وتصدق في قولها : لو كنتم مثلنا لفعلتم ما فعلنا) .

وعن الجامعة العربية : جاء اهتمام انديم بها مبكرا ، ففي العدد الثاني من مجلته (التنسكيت والتبكيك) وفي مقاله (إضاءة اللغة تسليم للذات) - قرر أن اللغة العربية أساس لاجتماع الكلمة ، ووحدة الرأى والثقافة ، وانتظام الهيئة الاجتماعية ، وأن إضاعتها إضاءة للشخصية الوطنية وتسليم للذات وفي مقاله (الجامعة اوطنية والاختلاط العمرانى) (٢) - دعا المصريين والسوريين إلى الارتباط بالجامعة الوطنية فقال : (فعلينا - معاشر المصريين والسوريين - أن نحى ما أماته التخاذل من جد السابقين وشرف المتقدمين ، فإن التاريخ يتلو علينا من فضلهم آيات ، ويؤكد لنا أنهم ما وصلوا إلى ذروة المجد بالمعارضات الدينية ولا بالمنافرات الجنسية ، وإنما ظهر مجدهم في مصر وصيدا وصور وقرطاجنة بالجاذبية الكهربائية المسماة بالجامعة الوطنية والاختلاط العمرانى) .

(١) الأستاذ - ١٧/١/١٨٩٣

(٢) الأستاذ - ١٣/٩/١٨٩٢

وعلى هذه النغمة جاء قوله في مقاله (لو كنتم مثلنا الفعلتم فعلنا) يخاطب قراء من السوريين - وهم أصحاب جريدة المقطم - باعوا أقلامهم للمستعمر ، قال النديم : (أنا أخوك ، فلم أنكرتني ؟ . ما الشام ومصر إلا توأمان ، أبوهما واحد ، يسوء الاثنين ماساء أحدهما ، فلم تنافر أبناؤهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين . . . ولو اجتمعت كلبتنا واتلفت نفوسنا وصفت بوادئنا وصرفنا هذه الهمم في حفظ الوطنين وإعلاء كلمة الجنسين - لحسدتنا المعالي ووقفت أوربا تنظرنا بعين الإعظام والإجلال . . . وإن قيل : إن جامعة الدين اضطرتهم [أى السوريين المأجورين] إقلانا : إن عز الاستقلال بالوطنية خير من الإذلال بجامعة الدين) .

وفي هذه المقالة دعوة رفيقة لاجتماع الكلمة واتلاف النفوس وشفاء البواطن ، وفيها إعلاء لشأن الجامعة الوطنية وأن فيها عز الاستقلال ، بينا في النفرة - بسبب الاشتراك مع الأوربيين في الديانة - مذلة ، ولا يجوز للعاقل أن يستبدل بالعزة المذلة .

وعن الجامعة المصرية : كتب النديم بحرارة ، واسترجع تاريخها القديم في مقاله (الجامعة الوطنية والاختلاط الامراتي) فقال : (عندما لعبت أيدي الفتن بالشرق وتوزعت وحدته شذر مذر وتفرق مالك وولايات - كانت مصر مخصوصة بجامعة وطنية لم يسمع بمثلها في الأقطار ، إذ كانت الأمة الإسلامية مع الطائفة القبطية كأهل بيت ، يتعاونون على المعاش ، ويتعاونون الأعمال ، ويتقاسمون النظر في شئون البلاد ، ويتعاضدون على حفظ الوطن من طوارئ العدوان) .

ويذكر النديم أن هذه الجامعة أثبتت أصالتها في الأزمات (حتى في الحروب الصليبية التي تحرك لها عالم أوربا برمتها وامتدت قرنين ، وكان لمصر فيها الشأن الأكبر واليد القوية ، ولم يسمع أن مسلماً تعدي على قبطي مع اشتعال نيران الحروب) .

ومن ثم انتقل النديم إلى واقع الثورة الجزائرية وسماها الحركة الأخيرة .

فقال : (ولقد امتد ذلك إلى الآن حتى في زمن الحركة الأخيرة ، التي كانت مظنة حدوث فتنة بين المسلمين والأقباط) ثم جمل هذه الجامعة مناط نخارد ونخار أمته فقال : (فنحن - معاصر المصريين - نفتخر بين الأمم بهذه الجامعة التي لا تنحل عقدها ولا يبدد نظامها) ، ثم يخشى أن يعترى هذه الجامعة فتور أو انحلال بسبب سياسة الاستعمار ، فيكتب محذرا من الأعبية (١) : (ولا يظن غير المسلم من المصريين ، أنه يعامل معاملة خاصة تريحه وتلحقه بالمستر ، في نعمه) . وبهذا يقطع على الإنجليز الأمل الذي يراودهم من انعطاف القبط إليهم ، وقد كان الإنجليز يتذرعون - فيما يتذرعون به لاحتلال مصر - بأنهم حماة الأقليات .

وقد برزت دعوة النديم للجامعة المصرية قوية أيام الثورة العراقية ، ثم عادت تبرز قوية حين أراد الإنجليز أن يحطموا أمل الخديوي عباس حلمي الثاني في الاستقلال بمصر ، فكتب النديم المقالات المتعددة ، مدافعا عن حق الخديوي ، وداعيا المصريين إلى الائتلاف حوله ، تحقيقا للجامعة المصرية التي يريد الإنجليز وأدها (٢) .

اتضح لنا أن مرنيات النديم موفورة ، وأن جهوده في الميدان الاجتماعي قوية لا تنكسر (٣) ، وأنه فتح للناس في صحفه أبوابا من الإصلاح الاجتماعي كانت مغلفة (٤) ، وامتدت هذه الجهود القوية إلى الميدان السياسي

(١) مقاله (هذه يدي في يد من أضعها) - الأستاذ - ١٨٩٣/٣/٧

(٢) انظر بوجه خاص مقالات النديم - في الأستاذ - أعداد ٣٤ و

١٨٩٣/١/٣١ و ١٨٩٣/٢/٨

(٣) أدب المقالة الصحفية في مصر ١٢٩/٢

(٤) زعماء الإصلاح لإحمد أمين - ص ٢٤٥

فرأيناه نائراً لا يهدأ ، وداعية إلى أكثر من مبدأ ، وتجمع مبادئه في الحرية والكرامة والاتحاد .

وقد أخذ النديم نفسه وقلبه بالصرامة والجِد والتوهم ؛ لأن (١) الظروف التي عاش فيها النديم وأنداده من المصلحين كانت ظروفًا عصيبة ، دعت المصيرين إلى اطراح اللهو ، وأشاعت فيهم روح السخرية .

ونلاحظ - في الناحية التعبيرية - أن النديم لم يجهد نفسه وقلبه في تحبير مقاله ، وأن مقاله تطور أسلوبه - كسائر أدبه - من الصنعة والزخرفة والتسميق البديعي إلى الأسلوب الحر المرسل .

ونلاحظ أيضاً اهتمام النديم بضرب الأمثلة كثيراً ، وبالاحتكام إلى الأدلة والقرائن أحياناً ، ودغدغة العواطف والمشاعر أحياناً ، وتبكير عبارات بعينها ذوات دلالات يراها أنفع له في تثبيت أفكاره في أذهان قرائه .

ولا يغيب عن بالنا أن النديم إنما كان يكتب المقال لصحفه ، فهو مقال صحفي ليس خالصاً للادب ، وهو مقال يتكرر كل يوم ، فيكون حريصاً على استدامة القراء وجذب اهتمامهم إليه بعرض الجديد من الأفكار بالأسلوب الذي يتداني منهم ولا يتعالى عليهم ، على أننا نستطيع أن تعدد النديم نفسه واحداً من قرائه .

النديم .. ناقدا

أتيح للنديم أن يبدى عدة آراء في الآداب واللغات ، يمكن أن نعهده بها ناقداً ، ويمكن أن نعهدها آراء عابرة أملاها حسه اثقافي العام . على أنه يجب أن نذكر أن الحركة النقدية في عصر النديم لم تتسع بمثل ما اتسعت في القرن الحاضر .

ونذكر - فيما يلي - خلاصة هذه الآراء ، مدعومة بنقول من مقالاته التي ضمنها آراءه ، في الخطابة ، والتمثيل ، والصحافة ، واللغة .

١ - الخطابة : كتب النديم في الخطابة مقالا دسماً عنوانه (ألسن الخطباء تحيي وتميت)^(١) شرح فيه نشأة الخطابة في أمتي العرب واليونان ، وتطورها ، وقيمتها ، وأطرافها إذا عالجت موضوعات الساعة ومست الحياة الاجتماعية الحاضرة ، ونعى على خطب المساجد لأنها جمل وعبارات مكرورة ثقيلة الظلال غير عصرية ، ودعا إلى النهضة بالخطابة الدينية لتوثق ثمارها المرجوة ، واقترح لإشراف ديوان الأوقاف على تأليف مجموعة من الخطب ، وأعلن تبرعه بهذا العمل ، وقدم بين يدي اقتراحه خطبة أتمودجية ، عالج فيها التآلف والاستعداد لمواجهة الخطر الأجنبي صفا واحداً .

وفي هذا المقال أوضح حاجة الأمة إلى الخطابة (فإن الأمة كثيرة في بلادنا ، متغلبة على السواد الأعظم منا ، ولو كانت الأمة قارئة كلها لاستغنت عن تغيير هيئة الخطابة بالجراند ، ولكن مغالعو الجرائد عدد قليل محصور في دقات المحررين) .

وأوضح أن الملوك العدول لا يخافون الخطابة ، ولذا تبيح حكوماتهم

(١) التنكيث والتبكيث - ٤٥ / ٩ / ١٨٨٩ .

حرية الكلام مثلما تبيح حرية المطبوعات ، أما المستبدون فهم الذين يخافون الخطابة ، ولذلك (تواثروا مع بعض الخطباء على ذكر الموت ، وإلزام الأمة بالطاعة والخضوع ، والتحذير من الخروج على الحاكم أو مخالفته ؛ ليमितوا بذلك ثورة النفوس ، التي تحدثها المظالم ويحركها البغى) .

وفي مقال آخر (١) أكد النديم أننا لانصل إلى القوة العلية وفيما الخطباء المشبطنون للهمم ؛ بما يرددون أن السعادة في العزلة والفضل في الزهادة والعيش الحشن ، (فهؤلاء - بحملهم سيرة نبيهم - سولت لهم أنفسهم أنهم قائمون بإرشاد الأمة وهدايتها إلى طريق الحق ، وما دروا أنهم أماتوا الهمم ... فلو تصدت أوربا لإماتة هم المسلمين وصر ففهم عن مجد الملك والدين والجنس ، وقطعت دهوراً في اختراع طريق تصل به هذه الغاية - ما اهتدت إلى مافعله الخطباء من محويل الخطابة عن عهدهما النبوي إلى ما قاله المتملقون إلى الملوك ، والغافلون عن طريق الهداية وإصلاح الأمة) .

وهذه الحماسة لإحياء الخطابة واتخاذها أداة للإصلاح العام الشامل ، تسير مسلك النديم كصالح اجتماعي ، وكأديب شعبي ، وكثائر انتهت إليه زعامة الكلمة في الثورة العراقية .

٢ - التمثيل : كتب النديم مقالا ضافيا عن التمثيل ، جاء فيه (٢) : (تمثيل الأحوال والوقائع المسمى بالتيسار ، فن بديع ، يقوم في التهذيب وتوسيع أفكار الأمم وإخبارهم عن الوقائع التاريخية والتخيلات الأدبية -

(١) مقاله (أتقلب الأمم بتقلب الأحوال ونحن نحن) - الأستاذ

عدد ٢٠ / ١٢ / ١٨٩٢ .

(٢) مقاله (فريق التمثيل العربي) - الأستاذ ١٠ / ١ / ١٨٩٣ .

(٦٤ - النديم الاديب)

مقام أستاذ وقت أمام تلامذته يلقنهم العلم بما تألفه نفوسهم وتميل إليه طباعهم .

وذكر النديم طرفاً من تاريخ التمثيل وهدفه وملاساته . فقال :

(وكان ذلك شائعاً ذائعاً بين العرب والمصريين من زمن بعيد ، فإكانت تحيا ليالي أفراحهم إلا بالمشلين ، ولكن لتوالي دواعي الجهالة على الأمم الشرقية نظروا إلى أرباب هذا الفن بعين الازدراء ، واتخذوهم مضحكين في أفراحهم ، وعدوا تشخيصهم الأحوال أموراً مضحكة ، وانصرفوا عن العظة بها ، والاعتبار بما فيها ، فكان ابن رايية في مصر يمثل أحوال الحكام وأخذهم الناس للسخرة في الحبال والحديد وقتل الرجل على عشرين فضة (١) ، وشنق آخر بغضب المدير أو المأمور ، ونهب المزارع والماشية ، وإصدار الأحكام بحسب ما يتصور لحاكم الخط ، فضلا عن المأمور وفضلا عن المدير كما يمثل أحوال من تغاضوا عن بيوتهم ، وأهملوا المحافظة على أعراضهم ، وائتمنوا الخدم والماليك ، فرأوا ما ساءهم ، وغير ذلك ، ولكن كانت فائدته عندنا أن نضحك عليه . وكذلك خلبوص العرب إلى الآن يمثل وقائعهم ، وما جرى بين القبائل من ظفر وخذلان وخط وارتحال) .

وتحدث النديم عن تطور التمثيل وانتقاله إلى الأوربيين ودورهم في ترقيته ، فقال :

(فهو فن قديم أخذته الأوربيون عن العرب عند مخالطتهم لهم في الأندلس والشام ، ولكنهم هذبوه ، وبنوه على تمثيل الوقائع الشهيرة ، التي لها وقع في التهذيب والتأديب ، وظهره من كل ما يخل بالأداب العامة ، فلا تستحى الأثني من حضور مجلسه ، ولا يأتى الأمير من تلك المواضع ،

وما زالوا به تنقيحاً وتحريراً ، حتى صيره أحسن فن ، تميل النفوس إليه
للهذيب والترويح ، وكتبوا فيه الروايات الكثيرة بين « حاصلة » و « صورة » ،
واعتنى به علماءهم ومهذبوهم ، وقام به شرادهم من أدبائهم ونهبائهم ، وبنيت
له المباني العظيمة ، وصارت مجامع الأمراء والفضلاء والأعيان .

أدرك النديم قيمة فن التمثيل ، وفائدته في التهذيب وتنشيط الفكر
والخيال ، وعرف الأوربيين قدرهم في ترقيته بالتأليف والتنفيذ والإخراج ،
وتقسيمه إلى (واقعي) يعرض واقعات الحياة كما حدثت ، (و متخيل)
يؤلفه خيال منشئه فيستمد من ذهنه لامن الواقع المدوس .

وادعى النديم أن فن التمثيل كان ذاتاً لدى المصريين والعرب ، وأخذه
الأوربيون عن العرب عندما خالطوهم في الأندلس والشام ، وهذه دعوى
تحتاج إلى دليل ؛ فإن فن التمثيل يكاد ينعدم الإجماع على أنه فن غربي
النشأة والتطور ، وإذا سلمنا بمعرفة المصريين والعرب لإياه فإننا لم نقع بعد
على ما يثبت أن الأوربيين نقلوه من العرب .

٣ - الصحافة : أدرك النديم ما للصحافة من خطر وقدر وسطوة ،
تلك المنعطفات التي أملت علينا حديثاً أن ندعو الصحافة « السلطة الرابعة »
في الدولة ، فالصحافة - كما رأها النديم - (١) ارتفع شأنها ، وعظم قدرها ،
واشتدت سطوتها ، حتى صارت لسان الأمم ، ثم ترقى إلى درجة كانت فيها
الأمرة بالصلح ، المثيرة للحرب ، القاضية بالحكم .

ومن رأى النديم أن الشرق بحاجة إلى الصحافيين الخالصين ، الذين
عرفوا بالغيرة على أوطانهم ، ولم يميلوا إلى النفرة ، ولا إلى تحويل الأفكار

(١) مقاله (جرايد الاخبار مدارس الافكار) - التبنكيت والتبكيك -

بقوة اقتدارهم على الكتابة؛ (فا ضر الشريين إلا اختلاف الوجهة واستعمال ألسنتنا العذبة في تحويل أفكار إخواننا عن الوجهة الشرقية إلى الوجهة الغربية؛ لوقوف المحررين في مقام المرشدين وأوعاظ، واعتماد الأمم على أفكارهم) (١).

والنديم موفق في تقدير الصحافة، وفي اعتبارها سلاحا ذا حدين، وإناطة هذا السلاح بالصحافي، فهو الذي يملك تسديده وتوجيهه، ولا رقيب عليه إلا ضميره أو الوازع الأخلاقي في نفسه، فإن كان قويا وجهه إلى خير أمته فجاءت صحافته نظيفة نزيهة، وإن كان ضعيفا ركبته التشويش والتهويش فجاءت صحافته هابطة وهزيلة.

٤ -- اللغة : يرى النديم (أن صناعة الكلام غير اللغة ، فإن الرفع والنصب مثلا تقوم بهما الألفاظ وتحفظها من الخطأ ، ولكن لاتساعدك هذه الوسائل الصناعية على إتقان اللغة والمخاطبة إذا كانت مجردة عن بدائع اللغة ، فكم من نحوى لا تغيب عنه قاعدة من قواعد النحو ، ولو كلف كتابة جواب أو عبارة صحيحة لأخطأ في الرسم وخرج عن حد الإنشاء) (٢).

هكذا يرجح النديم الجانب التطبيقي للغة على الجانب النظري، وهو ترجيح له ما يبرره، فإن اللغة تحيا بالاستعمال، وبمداومة النظر في الأساليب، وبمحاولة الإنشاء، وتقدير الكلام، والموازنة بين القول والقول، وليس بمجرد حفظ الضوابط ورصدها.

(١) مقاله (لم اختلف كلمتنا إذا اتحدت وجهتنا) — الاستاذ — ١٣/

١٢ / ١٨٩٣ .

(٢) المناظرة حول اللغة - التنكيت والتبكيك * ١١ / ٩ / ١٨٩١ .

والنديم مغرم بالعربية غراماً ، يؤمن بجمالها وبقوتها ، ويفار عليها ، وهو مقتنع بأنها المقوم الأول - والأساسي - للقومية ، يقول (١) : (أيها الناقق بالضاد ، بما تستبدل لغتك وما لها من مثل ؟ وإلى من تركها وأنت لها كفيل ؟ وما الذي استحسنته في غيرها واستنقحت مقابله فيها ؟ وأى شيء دللته فيها ولم تجد له اسماً ؟ ..)

.. أسمعك تقول : إذا فقدت لغتي اعتضت عنها بأخرى ، أجل ؛ إنك اعتضت عنها ؛ ولكن بما أضاع منك الوطنية والمعتقدات الدينية) .

ولكن هذه الغيرة ليست بمائعة أن يتعلم العربي لغة أخرى غير العربية إذا كان ذلك من ضرورات المعاش والاختلاط - يقول النديم : (إنى لم أحرم عليك غير لغتك ؛ لضرورة تفضيها ، ونازلة تدفعها ، ومشكل تحله) .

والنديم يرى أن العربية صالحة لمسايرة العلم الحديث ، وأن تدريس العلوم بها أمر يمكن (٢) ، وأن من الخسارة اتخاذ غيرها لغة تدريس ، وأنها تفقد شخصيتنا بطول استراق الكلمات الأجنبية واستعمالها في مخاطباتنا ومكاتباتنا (٣) .

والنديم يرى الحاجة ماسة إلى نمو العربية بتعريب المصطلحات العلمية والكيمائية والهندسية ، ويشير بإحداث جمعية من علماء الأزهر وأفاضل المدارس يناط بها هذا التعريب (٤) . وهذه دعوة إلى إنشاء مجمع للغة العربية ،

(١) مقاله (إضاعة اللغة تسليم للذات) - التنكيت والتبكيك -

١٨٨١ / ٦ / ١٩ .

(٢) مقاله (الزراعة في مصر) - الاستاذ - ١٨٩٣ / ٢ / ٢١ .

(٣) مقاله (اللغة والإنشاء) - الاستاذ - ١٨٩٢ / ١٠ / ١١ .

(٤) المقال السالف ، ومقاله (تربية الأبناء) الاستاذ - ١٨٩٢ / ١٠ / ١٨ .

أنت أكادما عندما أنشئ مجمع اللغة العربية - المعروف بمجمع البكري - سنة ١٨٩٢ م ، وتلقى النديم هذا المجمع بقبول حسن ، وكتب يشرح الضرورة الداعية إلى إنشائه ، ويرجو انتظام أمره ، ويقترح عليه (١) : أن ينشئ لجانا : للمواد اللغوية ، وللعلوم الآلية كالنحو والبيان والمنطق ، وللتاريخ وتقويم البلدان ، وللترجمة ، وللرياضيات ، وأن يستعين بالفنيين من غير أعضائه ، وأن ينشر بعض بحوثه في الجرائد السيارة توسيعا للفائدة ، وأن ينشئ له صحيفة خاصة ، وأن تكون له صلات بخارج القطر ، وأن يقيم المسابقات ويحيز البحوث الممتازة ، وأن ينظم محافل دورية الخطابية ويبيع للجماهير حضورها والمشاركة في مناقشة ما يثار فيها ، وربما أتيح له أن يمنح الإجازات العلمية) .

ولكن هذه المقترحات ظلت أفكارا ، حتى أخذ بجملةها مجمع اللغة العربية الذي أنشئ سنة ١٩٣٤ م ، فأتسع في بعضها ، وعالج بعضها بطريقة غير متسعة . ولم يبق من مقترحات النديم إلا مقترحه الأخير أن يمنح المجمع الإجازات العلمية ، وذلك معناه أن ينشئ المجمع معهدا علميا يتبعه ، ويهتم هذا المعهد بإرساء الثقافة اللغوية وتعميق البحث في اللغة .

النديم في محاوراته

أعجب النديم بهذا اللون من الأدب - المحاوره - منذ صباه ، فتدرب على تأليف مناظرة خيالية بين السفينة والقطار ، ثم جعله أسلوباً من أساليب صحافته ، ومعرضاً لبث آرائه وتسجيل واقعاته الاجتماعية ، بالفصحى تارة ، وبالعامية تارات .

المناظرة بين السفينة والقطار (١) :

بادىءه ن سجل أن المناظرات الأدبية فن أدبي ، يعتمد الجدال والنضال فى سبيل الغلب للرأى ، ويمكن أن تعتبر امتداداً لمنافرات أهل الجاهلية ، ولما نقتضات ومساجلات المتحزبين ومن إليهم فى العصر الإسلامى . ومن هذه المناظرات ما تلبس بالخيال كالمناظرة الى عقدها الجاحظ ، فى كتابه (الحيوان) بين صاحب الكلب وصاحب الديك ، بما يحمل على الرأى بأن الجاحظ أول من أنشأ هذا اللون .

ثم أغرم به الأندلسيون فعمدوا المناظرات بين المدن ، ثم اطمأن إليه أدباء العصر الوسيط ، فقرأنا مناظرة بين السيف والقلم «لاين نباتة المصرى» وأخرى «للقلشندى» وأخرى «لاين برد الأصغر» ، ومناظرة بين الزنبق والورد «لصفي الدين الحلى» ، ومناظرة بين الورد والترجس «لأبى الحسن الماردى» ، ومناظرة بين القنديل والشمعدان «لعبد الباى اليمانى» .

وهذا اللون من الأدب ينشط فى فترات الترف إذ يجد المتفننون مجال القول ذاسعة ، وينشط فى فترات الضعف حين يضيق بالناس مجال القول

فيلجئون إليه كوسيلة للتنفيس عن ضيق صدورهم ويكون ما يظهر منه رموزاً
لأمور مكتومة (١).

اختار النديم المناظرة بين السفينة والقطار ، فنقل الحديث إلى مخترعات
العصر ، وسار في ركاب الترف الفنى ، يتدرب على هذا اللون من الأدب .
وتقديم النديم للمناظرة يدل على هذا كاه . قال : (أرسات فكرى فى ميدان
المفاخرات ، ودخلت به حومة المحاورات ؛ فرأيت كل ضد زاحم ضدا ،
وكل لبيب نظم منهما فرائد وعقدا ، إلا السفينة والوابور ، فإنهما لم يتفخرا
فى جمع ، ولا حاول ذلك بينهما فكر ولاسمع ، ولا حواء منقول ولا ماثور
وليس لهما ذكر مسطور ، فسرحت فى حالهما النظر ، وأطلقت فيهما سراح
الفكر) .

ثم أجرى النديم مناظرته على الوجه الآتى :

السفينة

المخترعات فى الدنيا كثيرة ، وقد صارت سهلة بعد أن كانت خطيرة ،
ولكن من المعلوم لكل عاقل ، عارف بأحوال الأوائل ناقل ، أن شكلى
أول غريب ابتدع ، وأحسن عظيم اخترع . ما تقدمنى سوى الحيوان
والكواكب ، وضروريات الزرع وبعض آلات المعاطب . تلقانى البحر
على رأسه ، وجريت بين روحه وأنفاسه ، وصار كل غريب حاضراً لى ،
وكلما تلاطم البحر ضربته بيدي . لآثرهبنى منه الأمواج ، ولا تردنى عنه
الأبراج ...

القطار

ما كنت أظن أن السفينة ، الحقيبة المسكينة ، تخرج من الأجراف ،
وترفع في وجهي المجداف . ولكن قد يلقي الإنسان ضد أملة ، والمراء
بجزى بعمله ... فإنك وإن كنت أول عمل للخلق ، وصناعة نبي بوحي الحق
إلا أنك حماة الخطب ، قريبة العطب ، إن هبت عليك نسائم ، هنك من
فيك ومات ، وإن كتبت لك سلامة ، فلاحباً ولاكرامة ، وإن كسر ضلعك
فار ، علا فيك الماء وفار ... تغرقين إن زاد عليك د طرد ، وتهلكين إن
نزل عليك د شرد . فإن أبيت السير سجبوك على وجهك ، وإن كوا
تركوك وباتوا على قلبك ...

السفينة

مهلا يا أبالهب ، فقد خرجت عن الأدب ، دولا بدمأ رسي على برك ،
وأحرقك بلهب جمرك ، حصرت بين عجل وتضيب ، ووقعت في حميم ولهب
وتغذيت بالخشب والفحم ، وتفكمت بالزيت والشحم ، وتولعت د بالمشافة
والسكنة ، وتحليت بالنقش والدهنه ، وتمكن الغيظ فيك وانحبس ، حتى
صار فيك د نفس ، ... كم هرست من شخص وطحننت من حيوان ، وخلفت
راكباً وتركته حيران ، وكم جعل رجالك الناس مسخرة ، إذا لم يجدوا
مهمم د تذكرة ، وكم أضعت على تاجر فلوسه ، إذا فقدت منه د بوليسة ،
أعلى غير د الشريط ، تجرى ؛ فضلاً عن لحي وبحري . أدخل نفسك في مخزن
د الوفر ، د وفضك من النفخ والصفير .

القطار

أبعوضة تظن في أذن فيل ؛ وصورة تعد في التماثيل ، ولكني قد أبيت
مخاطبتك وعفت ، وكرهت وجهك المدهون بالزفت ، فإن حالك حال

الحيران ، وصباحك صباح القطران . وكيف أفاخر امرأة عقلها في
« مؤخرها » ، وهلاكها في تمزيق مئزرها ، تقاد بجبل طويل ، وتنقاد
لأذن عويل ، يديرها « شاغول » ، وفكرها مشغول ، تتبع هواها في السير ،
ولها جناح كالطير ، أمية وفيها « قارية » ، ويد عاجزة لها « بارية » ، ثلاثة
العيرين في ذل « الوتد » ، حمالة الحطب في جيدها جبل من مسد .

هذه هي المناظرة التي ديب فيها النديم فكره وخياله وأسلوبه وهو
ناشئ ، ومن الواضح أنها امتلأت بالصنعة البديعية والزخارف اللفظية
والمعنوية ، وأقربها إلى الظهور هذه الاستجاع وهذه التوريات التي نقلها النديم
من مصطلحات ربابنة السفن والعاميين بالقطر الحديدية .

أما من ناحية الموضوع فقد كان النديم عادلا بين السفينة والقطار ،
جعلهما يتقارضان الحديث ، ومنح كلا منهما الفرصة للاستعلاء والفخر ،
وللتحفض ضد منافسه والغض من شأنه ، وجمع لكليهما الأدلة والبراهين
والقرائن المسعفة .

المحاورات :

اتخذ النديم من المحاورات أداة البسط آرائه كأديب اجتماعي ، ومثل
هذه الآراء إذا عرضت في محاورات كانت أدنى لأن تنسرب العظة منها إلى
القرء دون أن يحسوا النصح المباشر ، ويكفهم أن يعقدوا المشابهة بين
واقعهم ومقرؤهم ؛ فيدركوا أمرهم ، فينشطوا إذا اقتضى الأمر النشاط ،
ويتدبروا إذا دعا الأمر للتدبر .

وهكذا أسهم النديم بمحاوراته - أو أسهمت محاورات النديم في علاج
كثير من مشكلات المجتمع ، وتشخيص أدوائها ، وتزكية المثل الجديدة في

النظام والحكم والإصلاح والتربية ، وشجب العيوب والدلالة عليهما وعلى مايسوء المجتمع من ممارستها والصمت عنها .

وذكرنا أنه اصطنع في محاوراته الفصحى والعامية .

وكنت قد ذكرت - في الرسالة - أنه كتب للخاصة بالعبارة الفصيحة وللعامية بالعبارة العامية ، ومازلت عند رأبي ؛ إلا أنني لحظت الآن أنه أنشأ محاورات الفصحى أول أمره في صحيفة (التنكيث والتبكيث) ، ومنها محاورات دمجها في فترة الاستخفاء ، وأنشأ محاورات العامية آخر أمره في صحيفة (الأستاذ) .

وهذا مرده إلى نمو شأن النديم ، واشتهار اسمه ، واتساع رقعة قرائه ، ولعله أراد أن يرضيهم ، ويكون - بالعبارة العامية - أقرب إلى قلوبهم ، وأكثر جذباً لهم .

(أ) محاورات الخاصة :

في المحاورات التي اطلعنا عليها : يقدم النديم عدة آراء في التربية والتعليم ، فهو يطالب بتعميم المكاتب وإلزام الأطفال بالتعليم ، وبمنهج في التعليم وطني معتدل ، وبالانتفاع بتجاريب البلاد الأخرى ، لأن العلم لاوطن له ، ويقدم رأياً في تعليم الناشئة أول النهار العلوم النظرية ، وفيما بقي من النهار يدرّبون تدريباً عملياً يؤهلهم لكسب العيش (١) .

ويتوجه بالملامة إلى حكام الشرق لأن مسلكهم في الحكم يدفع المحكومين لنفاقهم ، ثم يعيب ما يديه المحكومون من خنوع ، ويدعو إلى

أن ينتصف الشعب لنفسه ويستمسك بحقه في الحرية (١) . ويدير الحوار حول الشورى وقيمتها ، والانتخاب وطرائقه ، والمجالس النيابية وثمراتها ، وتجارب الدول الأخرى في ذلك وكيف تفيد منها (٢) .

على أننا نجد خير محاورات النديم أسلوباً محاوراً صاغها وهو في موقف الدفاع عن نفسه وإحباط كيد خصومه ، فدبت الحرارة في قلبه وأصابته حمى الانفعال ، فأدار محاوراً بينه وبين نفسه ، جاء فيها (٣) .

نديم

اسمعى اسمعى . إن قيل فيك : إنك خبيثة تحذرين من التمسح وتأتينه ، وتأمرين بالجلل ولا تتبعينه - هل أنت راضية بذلك ؟

نفسه

نعم راضية ؛ فإن العقلاء يعرفون سيرى ويحفظون مشربى ، فلا يضرنى جاهل يرى السهام مفوقة إليه ، فيرمينى بما ابتلى به ، وإن ملأ بمفترياته القهاوى والطرقات .

نديم

إن قيل فيك : إنك ضالة مضلة ، لاتعرفين الدين ولا تعترفين بأهل الفضل - فهل أنت راضية ؟

(١) وصية نديم لأحد أبنائه - التنكيك والتبكيك - ١٨٨١/٨/٢١ .

(٢) المذكرات السياسية - ص ١٢٧ .

(٣) إياك أعنى يا نفسى فاسمعى وعى - التنكيك والتبكيك - ١٨٨١/٧/٢٤ .

نفسه

نعم راضية ؛ فإن بنات أفكارى وأبناء آدابى تكذب من يقول ذلك ،
من لا يعرف إلا ضروريات حياته التى لا يجملها البهيم . وكسبى ما أنادى به
الآن من الآداب ، وروايته عن أهل الفضل يوجب على الاعتراف بفضلهم .
ومنكر الواجب مارق .

نديم

إن قيل فيك : إنك لا تؤمنين على درهم ولا دينار ؛ لطمع خلقت به
وشرم أجبلت عليه - فهل أنت راضية ؟ .

نفسه

نعم راضية . فإنى أعذر القائل ؛ لعلمى أن الفقير لو خلق من الأمانة ،
ونفخت فيه روح العفة - ما أوتمن على درهم ولا دينار ؛ لتوهم احتياجه
لإيهما . ولو كون الغنى من ضد ما كون منه الفقير ، وسلب من النقود كثيراً -
لخرست الألسن . وإن تكلمت وجد له مدافع ؛ لتوهم غناه عنها . . .

نديم

قد قيل فيك : إنك تسبين إخوانك الذين يؤيدون أعمالهم الخيرية
بالتحادهم ، وتسعين فى حل عروة الاتحاد الخيرى التى أحكمتها . فهل أنت
راضية بذلك أيضا ؟

نفسه

أرضى بالموت ، ولا أرضى أن أكون علة فى حل عروة الاتحاد الخيرى .

إن موقف خصوم النديم فى الجمعية الخيرية يدفعه إلى أن يلقيهم درسا
فيما يجب أن يتحلى به من يتصدى لأعمال الخير ؛ عسى أن تصلح نفوسهم ،

وتتوطن على تحمل المسكاره والمشاق في سبيل الغاية . واختار النديم طريقة الحوار ؛ لأنها تمكنه من الدفاع . ولئن بدا أنه يعترف بما اتهموه به إنما كان ذلك على سبيل التسليم الفرضي ؛ ليفضح خصمه ويأتيه من مأمنه . فيسلم خصمه له .

(ب) محاورات العامة :

فما اطلعنا عليه من المحاورات التي كتبها النديم بالعبارات العامة ، وجدناه يعالج كثيراً من المشكلات الاجتماعية والأخلاقية التي صاحبت وفود المدينة الغربية على بلادنا (١) وينبه إلى الخطر من غزو الأجانب لأسواقنا وتسلبهم على تجارنا (٢) . ويشجع على توسيع الرقعة المزروعة وتوزيع الأراضي البور على المعدمين (٣) : ويندد بحيل اليهود في امتصاص الأموال واستلابها وخاصة من المقامرين والسكران (٤) .

ويستغل النديم المحاورة في تعليم الشعب وتربيته ، فأنشأ في صحيفة الأستاذ ماسماه (مدرسة البنين) وما سماه (مدرسة البنات) ، لتعليم النظافة وآداب الأكل والنوم ، وتأسيس الحقوق المدنية للأشياخ والمعلمين والزملاء والأزواج وسائر أبناء الوطن ، ومعاملة الأجانب (٥) .

(١) المحاورات بين حبيب ونديم - وحنيفة ولطيفة - وزبيدة ونبوية - والمعلم حنفي ونديم - في الأستاذ - ١٨٩٢/٨/٣٠ و ١٨٩٢/٩/٢٧ و ١٨٩٢/١٠/١٨ و ١٨٩٢/١١/٨ .

(٢) محاورة المعلم حنفي ونديم - الأستاذ - ١٧٩٢/١١/٨ .

(٣) محاورة سعيد وبجيه - الأستاذ - ١٨٩٢/٩/١٣ .

(٤) محاورة لطيفة ودميانة - الأستاذ - ١٨٩٢/١٠/٧ .

(٥) الأستاذ - أعداد ١٠/٨ - ١١/١٥ - ١١/٢٩ - ١٢/٦ - ١٢/١٣ - ١٨٩٢/١٢/١٣ .

ونختار محاورته (المعلم حنفي والسيد عفيفي) (١) أنموذجاً لمحاورات العامة.
وقد أدارها النديم على الوجه الآتي :

عفيفي

الأستاذ دا إيه الى طلع لنا في آخر الزمن وداير يقول لنا : الاصلاح.
المدنية . الوطنية . المعارف . الآداب . الألفه . الاتحاد . شوفوا الافرنج
عملت ازاي . شوفوا أوروبا متحوفه ازاي : بالله يا معلم حنفي انت يخلصك
الكلام ده ؟

حنفي

يخلصني ايغني إيه . أنت منتشر شايف ياسيدنا تأخيرنا وضحك الناس
علينا لما صبحنا معيرة .

عفيفي

بس يا معلمى إحنا عملنا إيه يبارونا الناس بيه . الواحد منا قاعد كافي
خيره شره . من بيته لدكانه . ولا احنا بنقول دول بيعملوا إيه . ولا دول
بيسوا إيه . إلا ماشيين في حالنا . لا يايدينا ولا يرجلنا .

حنفي

ماهى دى اللى يبارونا بها الافرنج .

عفيفي

بقي آمال هما عاوزين تمهل على الدنيا زيهم وتصبح زى المجانين . دا

(١) الأستاذ - ٢٧/١٢/١٩٩٢ .

يجرى من هنا ودا بروح من هنا . ودا يقول الجرائيل قالت إيه . والتلغرافات
عادت إيه . زى اللى هم ارايحين يخلدوا فى الدنيا .

حنفى عفيفى

ماتأخذ نيش ياسيد . هوا آخرنا واخلانا ورا الناس إلا نفر تكم دى .
واقصاركم على البيت والدكان .. قول دى قلة بخت وعدم حيله . ولا هوا
حد يكره العمار وتنظيم البيوت والعيشة الهنية .

حنفى عفيفى

شوف يامعلم حنفى . مفيش أحسن من الراجل اللى يقوم من دكانه يروح
بيته ويقفل بابه عليه ويقعد مبدوط . إن جاله واحد صاحبه أهم قعدوا
للسكته ، شويه يضحكوا . يشبرقوا بكام كابة . . . وأما تقول لى : فرنسا
عملت . انكلا ترا سوت . ألمانيا قالت . إيتاليا عادت . دا كلام فارغ . هى
الدنيا دامت لمن لما رايحين نجرى عليها زى الأفرنج .

حنفى عفيفى

إننا لله وإننا إليه راجعون . . . لسه برضه ماسك فى الحشيش والمداهيه
السودا والبلاوى الجرى . . . لو كان الواحد منكم يفضنه من الهديان ده .
ويدور على أموره . ويمشى مع دا وده . ويداخل فى أمور الخواجات .
وياخد ويتطلى لما يتقن تجارته . ويفتح له محل زيهم . ولا يسبب وياهم فى
التجاره اللى طالعه داخله . موش أحسن .

حنفى عفيفى

يعنى شفت مين عمل كده وفلاح ؟

حنفى عفيفى

طيب بس بقى ياسيد عفيفى . إيه أحننا ما حناش شايفين الناس اللى ربنا

فتح عليهم ومشىوا مش الناس الطيبين . . . (بيت مدكور للصيني . أولاد
الجمال ، بيت الشيخه في الاسكندريه لتجارة الأقمشة . أولاد أبو النصر في
الاسكندريه والمنصورة . فوزى أفندي الصيدلى) احنا بقينا حدوته في
احسنه الناس .

إن شخصية (المعلم حنفي) شخصية شجبية يحملها النديم آراءه في تبسط
ووضوح وسخرية ، وها قد رأينا يعيب الحياة السلبية ، وينعى على أعيان
المدن في شخص (السيد عفيفى) قودهم وتسكاسهم ، وينشطهم للعمل
والسعى واقتباس السلوك الصالح ، ويضرب لهم المثل بما حوله ليثير فيهم
النخوة والغيرة .

والعبارات التي جرى بها الحوار منتزعة من أحاديث الناس في مجالسهم ،
وأجاد النديم نقلها عنهم ووضعها في أما كتبها من حوارهم .

النديم .. شاعرا

ديوان النديم :

في أثناء البحث جمعنا - من مصادر مختلفة - أشعار النديم ، وبلغت عدة هذه الأشعار نحواً من (ألف) بيت ، واعتمدنا عليها في دراستنا المطولة لشعر النديم . وفي النية نشر هذا الديوان مع هذه الدراسة التي نجتري منها بما يلي :

بداية الشعر :

بدأ النديم النظم « هاويا » ، يتدرب على التقريرض ، ويتساق على أبيات غيره من الشعراء ، وهو يختار ، من هؤلاء الشعراء ، من يكون أقرب إلى حسه الأدبي كالشيخ « عبدالله الشبراوى » من شعراء العصر العثماني . يأخذ النديم لأحدى قصائده في الغزل ، فيختمها ، ويقول (١) :

شقتني في الحب عنوان الرشاد
والجوى حظي . ولذاتي السهاد
لاتلم صبا ، بغالى الدمع جاد
(إن وجدى كل يوم فى ازدياد)
(والهوى يأتى على غير المراد)

* * *

نزهة الوهـان فى حال النوى

سقمه ، والنوح مادام الجوى
قد سباني تيهه ظبي اللوى
(ياعدولى لا تلنى فى الهوى)
(ليس لى مما قضاة الله راد)

وهكذا يستمر النديم فى تخميس أبيات صاحبه ، بما يوحى بأن النديم لم يقع بنفسه على مصدر الحب إلا من خلال تجربة غيره ، وحتى هذه التجربة - إذا صح أنها كذلك - لا تمثل معاناة حقيقية ، ولا تمثل أكثر من انفعال مسطح. ولكن عصر النديم - للإنصاف - كان يسيغ مثل هذا النظم، ويشجع عليه ، ويعدده مهارة أدبية .

وعلى نحو من هذا كان يتدرب النديم على قرض الشعر ؛ فسا هو إلا أن توحى إليه مناسبة ما بمعنى ما ، يجد فى نفسه الراحة لصوغه شعراً ، فهو ينظم هذا المعنى معتمداً - فى الأعم الأغلب - على تنعيم الكلمات العذبة ، ووضعها فى قوالب يحاكي بها السابقين ، وينسج على أساليبهم ، احتذاءً أو معارضة .
نقرأ هذا فى إخراجاته ، وغزلياته ، وخمرياتة ، ومطالع أشماره -
على السواء .

شعر المجاملات :

وأتيح للنديم أن يقرض الشعر فى مجاملة أصدقائه وأصفيائه ووزراء وقته ، فكان يغرقهم بنعوت الكمال ، ويعلى من قدرهم ؛ كما قال فى رسالة منه لأحد أصدقائه (١) :

الماجد الحر أهل الجود والكرم أبأوه الغر أصل الخير والنعم

شوقى إليك لطيف الود حركة فطرز الود فى نوع من الكلم

وكا قال فى صديقه ، محمد كمال ، (١) :

من كمل العليا بحسن صفاته حتى تجلت فى صفات كمال
نجل الأمير محمد بدر الوفا نور العيون وحسن كل جمال

وكا قال فى شيخه « محمد العشرى » ، (٢) :

على بابك العالى من الفضل راية على رأس أرباب المعارف تحفوق
فعلبك جنات ، وحلمك جنة وكلك خيرات ، وغيثك مغدق
أرى غصن من يدعو إلى الفضل نفسه

من الفضل عريانا . وغصنك مورق

إذا رمت إنشاء فعن صدق فكرة

تهادى بأبكار ، وغيرك يسرق

فمدحهم - فى الجملة - بأوصاف عامة غير متميزة ، وفى مديح شيخه
العشرى صفات خاصة كالعلم والحلم والإنشاء ولكنها غير متميزة أيضاً .
وليس هكذا شعر من يقصد إلى المديح قصداً لأداء حق الشكر ، أو للكسب ،
وانما هو تحية ومجاملة يلقها كما يلقى الواحد منا التحية على بعض صحبه
فلا تعدو كلمات لطيفة منمقة ، ولا تشف عن حقيقة الأمر ووقع الحيا
لدى صاحبه .

وشبهه بهذا ما كان يصنعه النديم نظماً يجمال به الوزراء أول ما يتولون

(١) سلافة النديم ٦٠/١

(٢) سلافة النديم ٢٩/١

مناصبهم ، كتهنئته لناظر الجهادية « عثمان باشا رفقى » (١) ، وتهنئته « لمحمد شريف باشا ، بنظارة النظر » (٢) .

أيام مولانا الخديوى كآها للناس عز ، زانه التشريف
لما أحال على الشريف رئاسة يسموها بين الرجال عفيف
قالت جلالتة : لذلك أرخوا :

قطرى لطيف والوزير شريف

٣١٩ ١٢٩ ٢٦٠ ٥٩٠ = ١٢٩٨ هـ

واللفظ فى هذه الأبيات وأمثالها - من نظمه - بسط سلطانه ، ففرض
الثافية ، والتورية ، والتجنيس ، ومراعاة النظير ، والتاريخ الشعرى .

ومدائح النديم - فيما عدا واحدة - مقطوعات لا تتجاوز ستة أبيات ، بما
يفسر أن انفعاله فى المديح انفعال عابر ، لا يجد مجالاً للإطالة وتوليد المعانى .
أماها تيك الواحدة فقد بلغت ستة وتسعين بيتاً ومطلعها (٢) :

بين السرائر والسريير هام الفرزدق مع جرير

وهو مطلع غزلى ، تخلص فى نهايته من صفة محبوبته إلى مدوحه فقال :

بدر محاسنه سميت وتنزهت عن مستعير
فكأها فى لطفها مدحى محمداً الأمير
بالجد مصباح الهدى بلغ الفخار بلا نظير
يابن البشير ولا أرى مدحا سوى يابن البشير

(١) ذكرناها فى ص (٤٩)

(٢) التنكيك والتبكيك - ٢/١٠/١٨٨١

(٣) الأستاذ - ٢٢/١١/١٨٩٢

مدحتكم الآيات قبل فدحنا يحكى الصغير

ثم صرح بجاخته :

لم يبق فى الأرقام من شخص معين أو معبر
فكأننى وكأنهم ضيف على باب الفقير
كم قد وصلت تفضلاً رحماً. وأكثر الخير
وكسوت آل محمد وأمرت من لا يستمير

هذه المدحة باعها التكسب ، الذى بعته على الإطالة ، ودغدغة مشاعر
المدوح ، والضرب على وتر المجد التليد والجديد ، ولم يكتف التنديم بهذا
فكشف عن محنة صاحبه الذى كان يؤويه فى فترة الاستخفاء - والقصيدة
من شعر هذه الفترة - فقال عنه :

وصديقنا المعلوم قد رم المنخلع والكسير
ليكن أتاه معوز غيرى ، جباحل البعير
وأناه آخر لم يجد قبحاً ، فلم يأب الشعير
وأناه آخر بالعبا ل ، وصار للأخ السمير
فاذا أتاه رابع أخذ الحمار أو البحير
فعدرته فى محنة ونفت بمزلقها الحمير
وتتبت الأخ الذى كالظل فى وقت الهجير

ويسلك التنديم مسلكاً جديداً فى عرض وجدانه على مدوحه :

لم أستمع قلبى به من لغيركم هذا العرير
لو أنه أوما لى ير عصابتى من ذا العشير
لكسرتة ورميته قبل الدواة بقعر بير
ورضيت بالحال التى تآتى ولو أكل الحصير
فالوت خير من مديح أوغد بالصوت الجير

ومع مخالفة هذه القصيدة لمنهج المقطوعات ، ومع ما فيها من اللقطات
الوجدانية التي شاء أن يعرضها - لا تخرج هذه القصيدة عن أن تكون
حديث مجاملة .

ويقرض النديم شعر الرثاء للمجاملة أيضاً ، ولم نعتز إلا على مرثية واحدة
من ثلاثة أبيات ، في رثاء الخديوى ، وهى (١) :

ما للكواكب لا ترى فى المرصد والكون أصبح فى لباس أسود
عم الكسوف الكحل أم فقد الضيا
أم كنا يرنو بمقلة أرمد
فلاك الجنات قالت : أرخوا

توفيق فى عز النعيم السرمدى

٥٩٦ ٩٠ ٧٧ ٢٠١ ٣٤٥ = ١٣٠٩

وهو رثاء فاتر ، ولا تغرنك هذه الصور العامة القائمة التى أصابت العالم
بفقد الفقيد ، ويخيل إلينا أن النديم لم يصنع هذا الرثاء فى حينه ، وإن قال
هو بخلاف ذلك (٢) ، فإن النديم كان منفيًا وقت وفاة الخديوى توفيق وبأسر
منه ، فلما عفا عنه الخديوى عباس حلى الثانى كان لا بد أن يجامله النديم فى أبيه
وفى نفسه ، فصنع فى الأول هذه المرثية ، وأرخ لوفاته ، وصنع فى الآخر
أبياتاً أربعة يحببها فيها ويؤرخ لجاوصه (٣) ،

(١) الأستاذ - ٢٣ / ٨ / ١٨٩٢ .

(٢) انظر مقاله (شكر النعم) - الأستاذ - العدد السابق .

(٣) المرجع نفسه .

الشعر الاجتماعي :

اتصل القديم بالمجتمع وبالأحداث ، ورأى في كليهما رأيه ، على نحو ما عرفنا في الفصول السابقة ، فكان لا بد أن يجعل شعره في ركاب آرائه ، ومن هنا وقعنا على شعر اجتماعي وفير ، نذكر أمثلة منه :

(١) ذم الخمر وشاربها ، وحمل على آثارها الاجتماعية والنفسية السيئة . قال (١) :

أم الخبائث ، بنت عسلوج الهوى
أخت الجشائش ، زوجة الشيطان
حملت صواحبها على طرح الحيا فبذلن عرضاً بعد حسن صيان
وبمكرها كحلت عيون رجالها فتصادموا كتصادم العميان
والحر يأتي حانها متعزراً فيقاد حال السكر كالعبدان
وأخو الحجى يخنى العثار بهفوة
وبها يرى الإنسان كالحيوان

(ب) وحث على السباق في ميدان المعارف وتحصيل العلوم ، وعلى ترك الجهالة ، وعلى لزوم العلماء ، وعلى الجود بالمال في سبيل ذلك . قال (٢) :

وحصل إن أردت العز يوماً علوماً ، ضوءها نور المعالي
وجانب فتية ضلوا فناهوا وباتوا عاكفين على المحال (٣)
وصاحب يا أخا الفتيان بجرأ تروى القلب من حر الضلال

(١) الأستاذ - ٢٧ / ٩ / ١٨٩٢ .

(٢) التنكيت والتبكيك - ١٠ / ٧ / ١٨٨١ .

(٣) المحال (بكسر الميم) الاحتيال والكيكيد .

وقال (١):

سمعنا بقوم شيدوا يدت مجدهم وسابق كل خدنه فتقدما
وجادوا بمال واستعانوا بهمة على كل فعل يصلح العبد والإما
فباتوا ملوكا في رياض معارف تنير بهم إن أصبح الجو مظلمنا

(ج) وشارك بشعره في توجيه السياسة والساسة . ومن شعره هذا
ما استقبل به النخديرى توفيقا بإعلان أمله فيه ، فهو يقول له - في مسرحيته
« الوطن » - :

فاجمع من القوم من ترضى خلائقه
واجعل لكل من الأعضاء قوانيننا
وشدد الأمر حتى لا يضيع سدى
واجعل زمامك فيه العدل واللينما
وطهر القطر بمن طبعه شره وخائن يحرق المأوى ويشوينا
وكن لأهل الوفا حصنا وملتجأ وكن لأهل الهوى سيفاً وسكينما

فالنديم يقيم الإصلاح السياسى على حسن اختيار الحاشية ، وعلى إنشاء
مجلس نيابى له قانون ، وعلى العدالة والحزم ، وعلى إبعاد الفاسدين المفسدين ،
والتمييز بينهم وبين الصالحين المصلحين ، ومعاملة كل بما يجب ، وهو لا يطمع فى
هذا إلا لإحياء النفوس التى ماتت بلا أجل ، عندما وجد الوطن خالياً من ذوى
الحماسة وأهل الرأى ، ومن رياض المعارف وميادين الصناعة ، وعندما طغت
الأماني ، واستمرأ الناس الذل والهون - أشار إلى هذا كله فى قوله - من
القصيدة نفسها :-

قل للنفوس التى ماتت بلا أجل أين القلوب التى كانت تجارينا
أين الشيوخ الألى ساروا وسيرتهم مسك ذكى يباهى مسك دارينا
أين العلوم التى كانت توصلنا باب السعود فصارت من أعادينا

أين الصنائع . أين المعارفون بها أين الديار التي كانت لأهلينا
كانت وكانوا و صار الكل في عدم واستعدتنا بما تهوى أمانينا

(د) وهجا النديم أعداء الثورة العراقية هجاء مفحشا . قال في « محمد باشا
سلطان ، رئيس المجلس النيابي وقد غاظه منه أن ينجاز إلى جانب الإنجليز ،
وييسر لهم سبيل احتلال مصر وتمزيق السكمة الوطنية (١) :

زينم أصله « هي بن بي ، وضع قد تناهى في الخساسة
جهول مظالم الأفكار فدم تربي من صباه في النجاسة
أضاع الدين والدنيا جميعاً بجهل عندما استلم الرياسة
وباع الناس للأعداء بنقد وأذهب من بني مصر الحماسة
فن يرجو صلاحاً في ديار بها الخنزير ينظر في السياسة

(هـ) ويطرى النديم الجامعة الشرقية (العثمانية) في شخص السلطان
عبد الحميد وسياسته . يقول النديم بعد أن أخلص النصيحة للشرقين عموماً
وللمصريين خصوصاً ، وزين لهم وحدة الصف ونبذ الخلاف ، والتنبه
للاعيب الاستعماريين (٢) :

ولسنا نرى ذا الملك يغمد سيفه وقابضه « عبد الحميد ، له أثر
ملك له في الشرق صدق محبة توهجها تحت الضلوع له زفر
سريرته أنقى من الضوء في الصفا وسيرته الحسنى بأفواهنا شور (٣)

ثم يرجع السلطان منزلها إياه عن اعظم . متهما به بعض من حوله ، مطالباً
أن يسن السلطان مبدأ المساواة بين المحكومين ، ويلتزم جانب التربية السياسية ،
وينشر المعارف ، ويأمر بإصلاح الأراضي والاحتفاظ بها للوطنيين ، ويبطئ
نظام « الالتزام ، الذي يخاق نظاماً طبقياً شاذاً - يقول النديم :

(١) المذكرات السياسية ص ٧٧ .

(٢) كان ويكون ص ٧ والأستاذ - ٣١ / ١ / ١٨٩٣ .

(٣) الشور : العسل .

نبرئ منك الذنات عن ظلم أمة ولكن حو اليك القليل به عُذر
فسن التساوى واحتمك واعف واصطبر

ترى الجثث الموتى يحركها النشر
وعمر بلاداً بانتشار معارف وإصلاح أرض لا يرى أهلها الضر
ولا تعط شيراً للجانب واحتفظ فما بعد ذا إلا التنازع والسكر
وأوقف مسير الالتزام لفتية تراهم رعايا والجميع له مكر

وعلى هذا النسق سائر القصيدة ، حتى دعا إلى بث رجال العلم في كل قرية ،
وإلى توحيد ضروب الحكم في أقطار الساطنة التماساً لتوحيد الحكمة ، وإلى
تنظيم القضاء ، واختيار الحكام ، ومراقبتهم ، والتشدد في عقاب الجارمين .
فقال :

وبث رجال العلم في كل قرية لتعليم دين عنده يقف أنظر
ووجد ضروب الحكم بين رعية يؤلفها التوحيد مابق العمر
وخر للقضا والحكم أكفاء ، وانتقد قضاءهم ، فالترك غايته الهذر
وشدد على أهل الفساد عقابهم وقرب رجال الحق ينتظم الأمر
الشعر الديني :

وللتدبير شعر ديني خالص ، أنشأ أكثره في فترة الاستخفاء ، كما
كانت تشغله الحياة المادية عن أن ينشئه ، فلما خلا إلى نفسه أحسن راحة
في إنشاده . ومنه كثير في مديح النبي ﷺ والاستشفاع به ، كقوله (١) :

ياسيد السادات قلبي خائف مما يرى العاصون في الميعاد
أنا منهم ، فالنفس كم شطحت على أرض الضلال وماصبت لرشاد
أجهدتها في الغنى . باليت النهى رد الشريدة باجتهاد جهاد
سودت صفحي بالذنوب ، وقد علا عين السواد «بها» اختلاط سواد (٢)
ما كان في الآباء مثل مسرف ، فالكل كانوا قدوة السجاد

(٢) أضفنا «بها» ليستقيم الوزن .

(١) سلافة التدبير ٢ / ١٣٢

خانفتهم جهلاً وسرت مغوراً إذ سار منجدهم مع الإصعاد (١)
وأنت بآبك فارغاً من كل ما يرجوه وفد الخير والزهاد
ما في القواد سوى محبتك التي
هي جنتي ، حصني ، شرابي ، زادي

وللنديم شعر في العترة النبوية الطاهرة ، والاعتداد بالانتساب إليها ،
وفي مدح الإمام علي بن أبي طالب وذكر مفاخره .

شعر الشكوى :

مرت على النديم أول أمره أوقات اطمأن فيها إلى مقدوره ، ولكن
لم يلبث أن قلب له الزمان ظهره ، وأول ما كان من هذا فصله من عمله في
القصر الخديوي العالی ، وهنا أدرك قسوة الزمان وجنائته ، فعرف الشكوى
من بعد القناعتة وقال فيما قال (٢) :

شلت يمين الدهر أدمت منحري
فرمت بكف الذئب فك القصور
صالت وقد أرخى الدجى ثوب الأما
ن على النديم فزقته بخنجر
لم يحفظ العهد الذي عاهدته إني إذا نام الردى لم أسهر
جهل اللئيم مكان قدرى فاعتدى
ولو انه يدرى به لم يغدر

(١) التغوير في السير : السير في منخفض ، والانجاد : السير في مرتفع ،
والإصعاد : الارتقاء . يقول : إنه سار سيرة فيها هلاك له وعدم فائدة ،
بينما ساروا سيرة في هارقي ورفعة .

(٢) سلافة النديم ٦٥/١

فالزمان - في هذه الآيات - معتمد أثم غادر جهول لا يعرف قدر
أهل القدر، لأنه سلط على النديم من هو أقل منه شأنًا فقسا عليه ولم يرحمه -
يشير إلى ما صنعه خليل أعا إذ طرده - وكان قداطمأن - كما يلعب في البيت
الثالث - إلى أن الزمان عاهده عهده، وكان الغرض أن يخلصه وده،
ولكنه جهل عليه حين جهل قدره، ولو قد عرفه أو لئلك الذين غدروا به
لم يندروا .

ومثل هذه النظرة السوداء ينظرها النديم عندما يحنى الزمان على غيره
من له بهم صلة - فن رسالة كتبها إلى صديق يسليه على نازلة ألمت به
يقول (١) :

اجهل تجرد صفو الزمان فإنه
من قسمة الغدم الغبي الجاهل
ودع التعقل بالتغفل يستقم أمر المعاش فخطه للغافل
وارض البلادة تغتم من بابها مالا وجاها بعد ذكر خامل

فصفو الزمان من نصيب الأغبياء الجاهلين، والمعاش يستقيم للغافلين
لا للعقلاء، والسال والجاء للبلداء والمتبلدين، فعلى العقلاء أن يتغفلوا
ويبدلوا - أي يتعمدوا الغفلة والبلادة - ليدركوا حظوظهم، وينأوا
أقسمتهم .

(١) الأستاذ - ٢٣/٨/١٨٩٢ ومجلة المجلات العربية (عدد ابريل ومايو

١٩٠٧) وتراجم أعيان القرن الثالث لتيصور ص ٢٩

شعر الخطرات :

وقد يقول النديم الحكمة ، فيقول رأيا مقررًا ، ليس له فيه إلا القالب
التقريرى ، كقوله (١) :

صنع الجميل يجب الأعداء ويزيل من قلب الحقود الداء
وأخو المروءة من يزور عدوه فى كربه ، ويحيب منه نداء
وكقوله (٢) :

دع عنك لومى فى شىء خصصت به
وانظر لنفسك تعذر مثلك الجانى
فتركك الشىء لا يعنىك منقبة
بل ذاك للمرء يدعى حسن إيمان

شعر الوصف :

ويقول النديم فى الوصف شعراً ولكنه قليل . ومن نظريه أنه
وصف القطار البخارى حين سافر به مرة من القاهرة إلى الإسكندرية ،
فكتب عنه فى إحدى رسائله يصفه (٣) :

نظر الحكيم صفاته فتحيراً شكلاً كطود بالبخار مسيراً
دوماً يحن إلى ديار أصوله بجديد قلب ، باللهيب تسعراً

(١) المسامير - ص ١٢

(٢) سلافة النديم ٢ / ١٣٠

(٣) > > ٣٥ / ١

ويظل يبكي والدموع تزيده وجدا فيجري في الفضاء تسترا
تلقاه حال السير أفعى تلتوى أو فارس الهيجا أثار العثيرا
أو أكرة أرسلتها ترى بها
غرضا ، فجلت أن ترى حال الدمى
أو سبع غاب قد أحس بصائد في غابه فعدا عليه وزجرا
فكأنه المديون جاء غريمه
فانسل عنه وغاب عن تلك القرى
أو أنه شهب هوت من أفقها أو قبة المنطاد تذبذ بالعرا
لا عجب للنيران إذ يمشى بها
فمن اللظى تجرى أورى كى تحسرا

وهذا وصف جيد في جملة، وإن كان قد أغرم فيه بيدان سرعة القطار،
وأتى بتعليل حسن في البيتين الثاني والثالث لهذه السرعة ، فالقطار -
في البيت الثاني - غريب به حنين وشوق إلى ربوعه ، وفي البيت الثالث
حسب يفضحه بكاؤه فهو يجرى سترأ لحبه .

وكذلك في البيت الأخير تعليل لطيف لاندفاع القطار بالنيران ،
استقاه من محشر الناس يوم القيامة .

أسلوب الشعر :

لا نستطيع أن نميز في شعر النديم شخصيته الحافلة الشاملة التي وجدناها
في أروانه الأدبية الأخرى ؛ ذلك أنه لم يمس على الشعر نفسه ولم يقصر
همه عليه ، وإنما كان يقوله - كما المعنا - دهواية ، في أول الأمر ، ثم
أتاحت له الأحداث أن يذمّه في مناسبة ، أو لداع ، أو لورود خاطر .

ومن المؤكد أن شعر النديم لم يختص بأسلوب متميز ، وأن أسلوبه لم

يكن أسلوباً مبتكراً ، وإنما نزع إلى محاكاة الأساليب القديمة ، شأنه شأن
جل الشعر في عصر النديم .

ولقد يميل النديم إلى بعض تفصيل وإسهاب وإكثار من الصور ،
كما في قصيدته (وطنية الشرق) التي نقلنا بعضاً منها في إطار الجامعة
الشرقية (١) ، وقصيدته التي بثها مسرحية الوطن وشارك بها في توجيه
السياسة في مصر (٢) .

ورأينا نفس النديم قصيراً في شعر المجاملات ؛ لأن انفعاله للمجاهلة
انفعال وقى ومسطح ، ومما يساعد على سطحيته طغيان اللفظ وماله من
سلطان عليه .

ويجربنا هذا إلى الحديث عن زخرف القول في شعر النديم بعامة ،
ويبدو لنا ولوعه بالتجنيس والمقابلات والتورية ، وقصيدته (أتحنسبنا إذا
قلنا : بلينا) (٣) في التروسل - من واحد وستين بيتاً - أظهر شاهد لهذا ،
وتذكر منها دون اختيار قوله :

ومرضعنا تغذينا بصبر مرير حين مازجنا حلينا
فطمنا بالظماء على ثبات فصمنا عن شراب الجازعينا
إذا ما الدهر صافانا مرضنا فإن عدنا إلى خطب شفينا
لنا جلد على جلد يقينا فإن زاد البلا زدنا يقينا

ولئن أسرف النديم في الألوان البديعية لقد أجاد - في حدود مفهوم

(١) ص (١٠٦)

(٢) ص (١٠٥)

(٣) الأستاذ - ١٨٩٣/٥/٩

الشعر الاتباعي - أن يأتي بكثير من مصطلحات المستكشفات الحديثة ،
ويطوعها لحياته ، وإن بدا فيها حرصه على الطاقة اللفظية ، كما قال في قصيدته
(شكوى النديم إلى جده العظيم) (١) :

ووعود الملاح للعين مدت (تلفوناً) منها إلى الأعماق
ومشير اللهب (فسفور) جسمي
وارتجافى (بدينميت) الفراق
تطبع العين في السويدا رسوما (بالفتخراف) من قدود رشاق
وإذا أظلمت مسالك قلبي نورتها (بكهربا) الإشراف
صرت أحكى السماع من غير فكر
(كالفنخراف) من عظيم اشتياقي
ووريدي مع الشرايين أمسى
منبع (الغاز) من (فخوم احتراقي)

وتابع النديم القداحي في افتتاح قصائده بالغزل - وربما بالخرز -
وفي التخلص الحسن إلى موضوع القصيد . وتد يطول الافتتاح ، كما في هذه
القصيدة (شكوى النديم إلى جده العظيم) افتتحها بخمسة وعشرين بيتاً
في الغزل ثم تخلص منه بقوله :

لذ لي الوجد مثلما لذ مدح الحسن السبط طاهر الأعراق
نبعة المجد منتهاه حلاه وابن من سار للعلا بالهراق

وانتهت القصيدة عند هذا الحد . وقصيدته (طاف النديم بكأسه في الخان) (٢)

(١) الأستاذ - ١٢ / ٩ / ١٨٩٢ .

(٢) الأستاذ - ٢٧ / ٩ / ١٨٩٢ .

طال الحديث فيها عن الخمر، ثم بعد ثمانية وأربعين بيتاً تخلص إلى المديح بقوله:

تل للنديم: كسروا أقداحكم فلهوى بدد دولة الخسران
ملاً النديم الكأس في حان التقى من سر عبد القادر الجيلاني

هذا - ومن الناحية العروضية: نجد النديم مطمئناً إلى الأوزان التقليدية، ومطمئناً - في الأعم الأغلب - إلى الأوزان الطويلة .

والنديم - في شعره - كثيراً ما يلتزم ما لا يلزم، وهو - كثيره من فنون الصنعة - كان زى النظم في القرن الماضي .

النديم بين شعراء عصره :

وخضوعاً لحكم الجو الأدبي الذي عاش فيه النديم - اقتصر على الأغراض التقليدية، وبخاصة المديح والتهنئة والغزل والخمر، وجاء حديثه عن الوطنية - كما جاء حديث غيره من شعراء عصره - غرضاً جديداً خلقه الإحساس بالحرية والكرامة في مواجهة المستعمر الذي أثارهم بظالمه .

على أن النديم لم يكن في الثورة العراقية شاعراً ثورياً بقدر ما كان خطيباً ثورياً وكاتباً ثورياً، لأن الثورة (١) - أي ثورة - عمل اجتماعي تناسبه الخطابة وتناسبه الكتابة، أما الشعر فعمل فردي لا يعقل أن تتلقاه الجماهير وتفرغ له أيام الثورات، فإذا تعاطاه الثائرون تماطوه في خطابهم لبشعوا به حماسة الجماهير، ويلهبوا وقدة انفعالهم .

على أن النديم مع هذا محدود من شعراء الوطنية، بما بعث في نفوس

(١) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي للعقاد ص ٩٢ .

أبناء الوطن من معاني الحزبية والكرامة ووحدانية الكلمة. بل (١) إن كثيراً من المعاني الوطنية المحلية جدد في شعره أوضح تحديد.

ولم يكن النديم - لا هو ولا غيره من شعراء عصره وعلى رأسهم « البارودي »، بمستطيعين أن يتخلصوا من الإرث الشعري، ولا أن يبتدعوا مذهباً جديداً في الشعر، بيد أنهم - على تفاوت فيما بينهم - ترمسوا آثار الشعراء القدامى الفحول، فهدوا السبيل لمثل « شوقي » و« حافظ »، أن يخطوا بالشعر العربي خطوة إلى الأمام.

وقد تفاوت الحكم على شاعرية النديم تفاوتاً كبيراً، فقيل: إنه شاعر مطبوع (٢). وقيل: إنه شاعر غير مطبوع (٣). وقيل: إنه قرض الشعر فلم يملك له ناصية ولا فاز منه بسهم (٤). ولا نقبل هذه الأقوال جميعاً.

فالقول بأنه شاعر مطبوع يغالى في نعت، هذه الشاعرية. ونحن نرى في شعر النديم أحياناً فسكراً مسطحاً وأحياناً عبارة متصنعة، وكلا هذين يبعده عن الطبع.

والقول بأنه شاعر غير مطبوع يقصر عن الوفاء بحق هذه الشاعرية. ونحن نرى في شعر النديم أحياناً همس النفس البشرية ووجدانها مع قوة سبك، مما يبعده عن دائرة الشعر غير المطبوع.

والقول بأنه قرض الشعر فلم يملك له ناصية ولا فاز منه بسهم - قول

(١) شعراء الوطنية لعبد الرحمن الرافعي - ص ١٣.

(٢) محمود حسنيب في مجلة المجلات العربية (عدد إبريل ومايو ١٩٠٧).

(٣) العقاد في (شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي) ص ٩٠.

(٤) ولي الدين يكن في (المعلوم والمجهول) ١ / ٣٠.

لم يصدر عن روية وإعمال نظر ، ولعل قائل هذا القول - وهو دوى الدين
يكن ، - لم يطلع على شيء ذى بال من شعر النديم ، ولعل الخصومة هي التي
أملت على صاحب هذا القول أن يسلب النديم ما قد يعد منقبة له .

والذى نرتضيه - عن اقتناع - أن النديم صاحب نفس شاعرة ، ولكن
لم يتح له أن يوجهها توجيهها كاملا إلى الفن ؛ لضعفه أمام سلطان الصورة
التقريرية والمهارات اللفظية. ولا يضيره أن كان كذلك ، لأن مبادئ النهضات
لا تشهد أى عمل كاملا ، ولحاجتها إلى مساندة القديم المألوف ، وإذا صدق
هذا على كل عمل فإنه أصدق دلالة على النهضات الأدبية .

مصادر البحث ومراجعته

(أ) مخطوط

رسالة من عبد الله أفندي نديم إلى صديقه أحمد عرابي باشا تتضمن تاريخ الحزب الوطني بمصر - بخط ناسخ مجهول - خطها بتاريخ ١٣٢٨ هـ - دار الكتب المصرية (المكتبة النيمورية) برقم ٦١٧ تاريخ .

(ب) كتب بالعربية

١ - أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث - مطبعة مصر -

القاهرة - ١٩٤٨ م

٢ - أحمد نيمور باشا : تراجم أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع

عشر - علي نفقة عبد الحميد أحمد حنفي بالمشهد الحسيني - القاهرة - ١٩٤٠ م

٣ - أحمد شفيق باشا : مذكراتي في نصف قرن - الجزء الأول -

مطبعة مصر - القاهرة - ١٣٥٢ هـ

٤ - ألفريد سكاون بلنت : التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر

(مترجم من الإنجليزية) - جريدة البلاغ - القاهرة - ١٩٢٨ م

٥ - سليم خليل النقاش . مصر للمصريين - الجزء الرابع - مطبعة

جريدة المحروسة - الإسكندرية - ١٣٠٢ هـ

٦ - عباس محمود العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي -

مطبعة حجازي - القاهرة - ١٩٣٧ م

٧ - عبد الرحمن الرافعي : شعراء الوطنية - لجنة التأليف - القاهرة -

١٩٥٤ م

٨ - د . عبد اللطيف حمزة : أدب المقالة الصحفيه في مصر - الجزء

الثاني - دار الفكر العربي - القاهرة - ١٩٥٠ م

٩ - د . عبد اللطيف حمزة : الصحافة والأدب في مصر - معهد

الدراسات العربية العالية - القاهرة - ١٩٥٥ م

- ١٠ - عبد الله النديم : كان ويكون - مطبعة المحروسة - مصر - ١٨٩٢ م
- ١١ - عبد الله النديم : (جمع عبد الفتاح نديم) : سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله النديم - الجزء الأول بالمطبعة الجامعة بمصر سنة ١٣١٤ هـ - والجزء الثاني بمطبعة هندية بمصر سنة ١٣١٩ هـ .
- ١٢ - عبد الله النديم : (جمع محمد بن منتصر) : مقالات النديم - ١٩٠٩ م .
- ١٣ - عبد الله النديم : المسامير - الجزء الأول - الناشر (ي ن . ه . م) - مصر .
- ١٤ - د . محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية - مطبعة الرسالة - القاهرة - ١٩٥٦ م .
- ١٥ - د / محمد السعدى فرهود : عبد الله النديم - حياته وآثاره (رسالة الماجستير بقسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية العالية) ديسمبر ١٩٥٨ م .
- ١٦ - د / محمد السعدى فرهود : الكوثر العذب - المكتبة السعدية - ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ١٧ - محمد رشيد رضا : تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده - الجزء الأول - مطبعة المنار مصر - ١٩٣١ هـ .
- ١٨ - د / محمد محمد حسين : الانجازات الوطنية في الأدب المعاصر - الجزء الأول - مكتبة الآداب - القاهرة - ١٩٥٤ م .
- ١٩ - د / محمد يوسف نجم : القصة في الأدب العربي الحديث - دار مصر للطباعة - القاهرة - ١٩٥٢ م .
- ٢٠ - ميخائيل شاروويم بك : الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث - الجزء الرابع - المطبعة الأميرية - ١٩٠٠ م .
- ٢١ - ولى الدين يكن : المعلوم والمجهول - الجزء الأول - مطبعة الآداب - الإسكندرية - ١٩٠٩ م .

(ح) صحف انديم

- ١ - التنكييت والتبكييت : من ٦ / ٦ / ١٨٨١ إلى ٢٣ / ١٠ / ١٨٨١ .
- ٢ - الطائف : من أواخر أكتوبر ١٨٧١ إلى منتصف سبتمبر ١٨٨٢ .
- ٣ - الأستاذ : من ٢٣ / ٨ / ١٨٩٢ إلى ١٣ / ٥ / ١٨٩٣ .
- ٤ - آداب رمضان : ملحقة بالأستاذ من ٢٨ / ٣ / ١٨٩٣ .

(د) صحف أخرى

- ١ - التجارة لأديب إسحاق وسليم نقاش : يونيو وأغسطس وسبتمبر ١٨٧٩ .
- ٢ - مجلة المجلات العربية لمحمود حسيب : إبريل ومايو ١٩٠٧ .
- ٣ - مصر لأديب إسحاق وسليم نقاش : يونيو وسبتمبر ١٨٧٩ .
- ٤ - الوقائع المصرية : ١٥ / ٢ / ١٨٨٢ .

فهرس الموضوعات

ص	ص
٨٧	٣
٨٧	٦
٩٠	١٠
٩١	١١
٩٤	١٢
٩٨	١٣
٩٨	١٥
٩٨	٢٢
٩٩	٢٨
١٠٤	٣٨
١٠٧	٤٥
١٠٨	٥٣
١١٠	٦٤
١١٠	٨٠
١١١	٨٠
١١٤	٨١
١١٧	٨٣
	٨٤

أودع هذا المصنف دار الكتب برقم ٢٧٨٢٠ / ١٩٧٦ م

دار الطباعة المحمدية بالأزهر بالقاهرة

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنم الله الفردوس

www.moswarat.com